الظواهر السكانية في بلاد الرافدين: دراسة في الفكر الجغرافي

م. د. ابتهال عبد علي الحميداوي

جامعة القادسية / كلية الاثار

ebthal.abd@qu.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٦/٩/١٣

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/٩/٢٩

الملخص :

يعد الانسان الثروة الاقتصادية لكل مجتمع من المجتمعات واساس تقدمه لأنه محور كل نشاط اقتصادي واجتماعي فهو المنتج وهو المستهلك وهو المستثمر، فكل فرد في المجتمع هو يمثل سكان ولكل مجتمع سواء اكان مجتمعات قديمة بائدة ام مجتمعات قائمة لها سكان يكون محور الاهتمام من قبل المفكرين والعلماء في كل عصر. إذ ان معرفة الخلفية التاريخية لبدايات الاهتمام بعدد السكان وحجمهم وخصائصهم ، فضلاً عن معرفة توزيعهم ما بين ذكور واناث وما بين الاطفال وكبار السن والشباب، فضلاً عن الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للسكان وهذا ما يتضمنه مفهوم الظاهرة السكانية التي تعرف بأنها مجموعة التغيرات والخصائص المرتبطة بالسكان، إذ تفيد في محاولة تحديد مراحل تطور الاهتمام بالظاهرة السكانية في اي مجتمع من تلك المجتمعات ومنها المجتمعات السكانية التي استوطنت بلاد الرافدين.

يهدف البحث الى تسليط الضوء على الظاهرة السكانية في مجتمعات بلاد الرافدين التي كان الاهتمام فيها يتمثل بأجراء التعداد السكاني ومعرفة الشباب منهم ولربما كان هذا يحصل لأغراض عسكرية ولمعرفة القوى القادرة على العمل والانتاج فالفكرة الشائعة لمعظم الامم القديمة هي ان الزيادة في السكان تعني الخير والبركة ، وان من ينجب اطفالاً كثر يقدم خدمة جليلة للمجتمع، لتحقيق هدف البحث استعمل المنهج التحليلي التي تدعمه الطريقة الاستقرائية في التي تبدأ بطرح الجزئيات لتصل الى الكليات ووضع الفرضيات العلمية وقد عالج البحث المشكلة بالتساؤل الاتي: (هل للظواهر السكانية اهمية عند ملوك وحكام بلاد الرافدين؟.)، وقد وضعت اجابة هذا التساؤل بفرضية مفادها (ان الظاهرة السكانية كانت مثار اهتمام الملوك الحكام كونها تمثل دراسة الانسان عنصر الحضارة المهم وصانعها)، وقد توصل البحث الى ان الظواهر السكانية كانت موضع اهتمام رجال الدولة والدين لاعتبارات اخلاقية واجتماعية واقتصادية وتعبوية عسكرية وسياسية فتمثلت في ما اقره هؤلاء الحكام والمشرعين من قوانين لتنظيم المجتمع السكاني.

الكلمات المفتاحية : الظواهر ، السكانية ، وبلاد.. الرافدين.

population phenomena in Mesopotamia: A study in geographical thought

PhD. Ebtihal Abd Ali Alhmidauy

University of Al-Qadisiyah / College of Archaeology

ebthal.abd@qu.edu.iq

Date received: 13/9/2026
Acceptance date: 29/9/2026

Abstract:

Man is the economic wealth of every society and the basis of its progress because he is the focus of every economic and social activity. He is the producer, the consumer, and the investor. Every individual in society is a population, and every society, whether it is old, defunct societies or existing societies, has a population that is the focus of attention by thinkers and scholars in every age. Knowing the historical background of the beginnings of interest in the number, size and characteristics of the population, as well as knowing their distribution between males and females and between children, the elderly and the youth, as well as the socio-economic characteristics of the population. This is encompassed by the concept of the "population phenomenon"—defined as the set of changes and characteristics associated with a population—which helps identify the stages of evolving interest in this phenomenon within various societies, including those that settled in Mesopotamia.

The research aims to shed light on the population phenomenon in Mesopotamian societies, where interest was in conducting a population census and knowing the youth among them. This may have been done for military purposes and to know the forces capable of work and production. The common idea of most ancient nations is that an increase in population means goodness and blessing, and that He gives birth to many children and provides a great service to society.To achieve the goal of the research, the analytical method was used, which is supported by the inductive method, which begins by subtracting the details to reach the wholes and developing scientific hypotheses. The research addressed the problem with the following question: (Did population phenomena hold any importance for the kings and rulers of Mesopotamia?), The answer to this question was formulated with(The population phenomenon was of interest to ruling kings because it represents the study of man, the important element and creator of civilization). The research concluded that population phenomena were of interest to statesmen and religious figures for ethical, social, economic, military, and political reasons, and this interest was reflected in the laws enacted by these rulers and legislators to regulate the population.The structure of the research was represented by three sections. The first was a theoretical introduction to the research. The second section dealt with the concept of the population phenomenon and the importance of studying it as a cultural heritage, while the third section studied the population phenomenon in Mesopotamia.

Keywords: phenomena, population, and Mesopotamia

المقدمة:

تعد حضارة العراق من اقدم الحضارات وذات الارث التاريخي الكبير إذ لم تكن للطبيعة الغنية بمواردها لتيسر وتسخر لخدمة الانسان الا بعد جهود بشرية جبارة استلزمت توحيد الجماعات والافراد ونشوء الإدارات المركزية المشرفة على تنظيم العمل، ومن ثم الاهتمام بكل ما يتعلق بالأفراد في المجتمع ومن هنا انطلقت الافكار والآراء في وضع القوانين والتشريعات التي تخص السكان أو الظاهرة السكانية، فضلاً عن أثر البيئة الطبيعية العراقية في التركيب السكاني والتكوين النفسي لسكان العراق الأوائل، فالسكان متنوعين منهم ذو اصول سامية من الجزيرة العربية والبوادي الشمالية القريبة قد نزحت الى بلاد الرافدين في مختلف عصور التاريخ ، كانوا قد سكنوا المناطق الوسطى والجنوبية الغربية منها فاطلقت عليهم تسميات مثل الساميون الشرقيون ، والساميون الغربيون ، والاراميون والقبائل العربية، وسكان اخرين كانوا قد سكنوا الاقاليم الشرقية والشمالية الشرقية يعتقد ان اصولهم تعود الى الاقوام الهندية – الاوربية فبلاد الرافدين يعد اقليم مفتوح لهجرات الأقوام والغزوات ، لذا اطلق عليهم السومريون والأكديون[١]، وهناك اقوام مجهولون مثل الفراتيون الأوائل والسوباريون والحوريون[٢]، لذا فأن الاطلاع على الخلفية التاريخية للظاهرة السكانية في المجتمعات الأولى التي سكنت في بلاد الرافدين يساعد على تسليط الضوء على بواكير او بدايات الاهتمام بالمسألة السكانية ومعرفة الضرورة التاريخية لهذا الاهتمام والكيفية التي تطور بموجبها وتحديد مراحله ، فالفكر السكاني لم يكن آنذاك قد اعتمد على المعطيات والبيانات السكانية التي تستند الى الاحصاءات بل كان يعتمد على الافكار الفلسفية لأصحاب القرار من ملوك وحكام، وعلى الرغم من كل ذلك فان استعراض تلك الآراء يفيد في اعطاء صورة موجزة لفهم مراحل التطور للفكر السكاني للعراقيين الأوائل، ولتحقيق ذلك لابد من وضع خطوات البحث العلمي المتمثلة بمنهج واسلوب البحث على النحو الآتي:

المبحث الاول : المدخل النظري للبحث

١. **مشكلة البحث:** تمثل الخطوة الأولى من خطوات البحث العلمي وتحديدها بعناية وصياغتها بعبارة واضحة ومفهومة[٣] يؤدي الى تحقيق هدف البحث وتتمثل مشكلة البحث بالتساؤل الآتي: (هل للظواهر السكانية اهمية عند الملوك والحكام في بلاد الرافدين؟).

٢. **فرضية البحث:** هي التفسير المنطقي الصحيح لظاهرة معينة اساسها وقوامها الحدس العلمي للباحث[٤]، ويمكن صياغة الفرضية على النحو الآتي: (ان الظاهرة السكانية كانت مثار اهتمام الملوك والحكام بهذه المجتمعات بكونها تمثل دراسة الانسان عنصر الحضارة المهم وصانعها).

٣. **هدف البحث ومبرراته:** شمل هدف البحث تسليط الضوء على الاهتمام بالظاهرة السكانية سواء اكان ذلك الاهتمام بحجم السكان او تركيبهم او توزيعهم او المتغيرات السكانية ذات التأثير الاجتماعي والاقتصادي ولاسيما ظاهرة الهجرة بأنواعها في المجتمعات التي سكنت بلاد وادي الرافدين من الاشوريين والبابليين والسومريين، اما مبررات البحث فتمثلت في اظهار الدور الكبير للأفكار والآراء التي تحث على الاهتمام بالظاهرة السكانية في المجتمعات القديمة ومنها مجتمع بلاد الرافدين ، مما له مساس بالإرث الحضاري في تطور المعرفة الجغرافية السكانية التي كان يتمتع بها علماء وفلاسفة تلك العصور الزمنية.

٤. **منهج البحث:** اعتمد البحث المنهج التحليلي الوصفي التي تدعمه الطريقة الاستقرائية في التي تبدأ بطرح الجزئيات لتصل الى الكليات ووضع الفرضيات العلمية لتحصيل الحقائق العلمية حول الظاهرة المدروسة كما ارفد بالمنهج التاريخي لمعرفة بعض محطات تاريخ بلاد الرافدين والارث الحضاري الذي يتحدث عن الظاهرة السكانية في مجتمعاته.

المبحث الثاني : مفهوم الظاهرة السكانية واهمية دراستها كتراث حضاري

يهتم فرع الجغرافية السكانية برصد وقياس الظواهر السكانية المختلفة والمرتبطة بأنماط توزيع السكان وكثافتهم وكذلك اتجاهات النمو السكاني فهو يتناول دراسة المجتمعات البشرية التي تقييم في مناطق جغرافية محددة سواء اكانت قرية ام مدينة ام دولة[٥]. اما علم الديموغرافيا فهو يهتم بالدراسة الكمية للسكان او المجتمعات البشرية وتطورها[٦]. وهما معاً يركزان على دراسة السكان وهم مجموعة من الافراد تعيش في منطقة جغرافية محددة وخلال وقت معين ، وهم ثروة الأمة البشرية ، ولا يمكن ان تقارن بثروتها الطبيعية فلولا الناس ما جادت الأرض بخيراتها وما انتشر فيها العمران وما قامت مدينة او حضارة، فحيوية اي أمة تقاس بعدد سكانها، وبمقدار ما يتميزون به من نشاط[٧].

تقوم الجغرافية التاريخية للسكان بدراسة المواضيع التي تشير لها الظواهر السكانية من التغيرات في حجم أو تكوين السكان بمرور الوقت، وغالبًا ما يكون ذلك نتيجة لعوامل طبيعية أو من صنع الإنسان. يمكن أن يشمل ذلك اتجاهات مثل النمو السكاني أو الانخفاض أو الاستقرار، بالإضافة إلى التحولات في التركيبة

السكانية، مثل العمر أو الجنس أو العرق. وعلى اساس ان قوانين التطور السكاني تختلف باختلاف التشكيلات الاقتصادية – الاجتماعية عبر التاريخ، لذا تعد دراسة الظواهر السكانية مهمة لفهم الاتجاهات السكانية والتنبؤ بها، ولإرشاد السياسات واتخاذ القرارات المتعلقة بالقضايا السكانية[٨]، فالظاهرة السكانية هي دراسة عدد وتوزيع السكان في منطقة معينة، بما في ذلك النمو السكاني، والعوامل التي تؤثر في التغيرات السكانية مثل المواليد والوفيات والهجرة. وتهدف دراستها إلى فهم تركيب وتوزيع السكان في المجتمع، وتحديد التحديات والفرص المتعلقة بالنمو السكاني والتخطيط العمراني والتنمية الاقتصادية.

ان تفسير التباين المكاني للظواهر الجغرافية على مستويات مختلفة تعد ميدان الجغرافي والظواهر السكانية تعد احدى تلك الظواهر التي تحدد اتجاهات النمو السكاني عبر الزمان والمكان ونظرية الانتقال الديموغرافي اساسية من اجل فهم اثر العمليات الجغرافية في عملية التحول للتحضر (التحول الحضري) والتصنيع للمجتمعات وفي تفسير استعمال او استثمار الموارد بعامة حيث الاهتمام المتزايد في الجغرافيا بتحليل العلاقة المتبادلة بين البيئة الطبيعية والبيئة البشرية ومنها معرفة الخصائص السكانية (التوزيع والتغير والتركيب السكاني) وكيفية تغيرها من مكان الى اخر ومن زمان الى اخر، فالسكان كانوا ولازالوا يمثلون أهم أدوات الإنتاج وهم ايضاً المستهلكين ، كما انهم الجنود الذين يدافعون عن الوطن ، ومن هنا كان الاهتمام قديماً وحديثاً بجمع البيانات عنهم[٩]، وان اهمية دراسة الظواهر السكانية كتراث حضاري تأتي من وصفها كمؤشر اساسي لمعرفة حاجيات المجتمع المادية آنذاك والتي لا يمكن الاستغناء عنها لدورها المركزي في حياة السكان اليومية ، فالمجتمع يمثل وحدات سكانية متعددة ينخرط أفرادها في مؤسسات اجتماعية مختلفة ومتباينة النشاطات تتفاعل مع بعضها البعض الآخر، وبذلك تدرس علوم الجغرافية والاجتماع الظواهر السكانية كونها منطلقات أساسية في النظرية الاجتماعية أو في تحليل القوى والتراكيب الاجتماعية فمثلاً تعتمد دراسة الطبقات الاجتماعية على توزيع السكان بحسب النشاطات الاقتصادية وحالتهم المهنية والعلمية[١٠].

لما كان الإدراك الصحيح والمعرفة الحقيقية والفهم السليم هي مفتاح الوعي الفردي والاجتماعي، كان إدراك حقيقة حجم السكان ومعرفة التغيرات في هذا الحجم وفهم أسبابه بمثابة مطلب أساسي لتنمية وعي الأفراد وتكوين الوعي الاجتماعي بينهم. لأن الفرد الذي تتاح له فرصة في الإلمام بعدد الأفراد الذين يهمونه لاشك في أنه سيستفيد من هذه الحقيقة في توفير ما يحتاج إليه هؤلاء الأفراد في حياتهم، وفي ترتيب معيشتهم. ويمكن للأفراد في المجتمع أن يساهموا ببناء المجتمع على ما توافر لديهم من معرفة تتعلق بحجمهم والتغيرات فيه

واسبابه، ومن ثم مساعدة أجهزة المجتمع في القيام بواجبها نحو توفير وتدبير وسائل العيش اللازمة لهذا العدد من السكان في تلك الفترة الزمنية. فمعرفة الفرد لعدد الأفراد الذين يهمونه تجعله يعي بأن ما استطاع أن يوفره من وسائل عيش تكفي او لا تكفي هذا العدد الأمر الذي يجعله يفكر في وسيلة يعيد بها التوازن بين هذا العدد من ناحية وبين ما يحتاجونه من وسائل عيش من ناحية أخرى، فإما أن يفكر في الا يزيد هذا العدد أو يفكر في وسيلة الزيادة وسائل عيشهم. كما أن معرفة الأفراد في المجتمع لحجمهم تجعلهم يقدرون أن ما استطاع المجتمع وأجهزته أن يوفره لهم من خدمات ومشروعات إنتاجية وغيرها، يكفي أو لا يكفي هذا العدد الأمر الذي يجعلهم يفكرون في وسيلة يعيدون بها التوازن بين هذا العدد أو حجم السكان من ناحية وبين ما يحتاج إليه هذا العدد من خدمات ومشروعات إنتاجية أو وسائل عيش، فيساعدون على تقليل هذا الحجم أو على زيادة مستوى الإنتاج في هذه المشروعات أو على رفع معدلات الأداء بها[١١].

ان السكان يعد جسم عضوي متحرك يعمل على تجديد نفسه من خلال الانجاب إذ يزد اليه مواليد وينتقل افراده الى فئات السن المختلفة سنة بعد اخرى فيكبر الاطفال ويدخلون قوة العمل ويهرم الشبان ويموت الشيوخ اذاً فالمواليد والوفيات اهم عنصرين في حركة السكان. فضلاً عن دور الهجرة السكانية في زيادة او نقصان عدد السكان في اي مجتمع[١٢]، ورغم انها ادنى اهمية من الولادات والوفيات في احداث التغيرات السكانية لكنها عامل اساسي في المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية لذا صنفت الى انواع مثل الهجرات الغازية وهجرات الفتوحات وهجرة الاستعمار والهجرة الوافدة التي تكون اختيارية في اوقات السلم[١٣]. إذ كان عدد السكان وتوزيعهم بحسب النوع (ذكور واناث) وبحسب العمر (اطفال ، شباب ، مسنين) من الأمور التي اهتم بها رجال الحكم والفكر واسترعت انظارهم منذ العصور القديمة ، وقد وجدت التنقيبات الاثرية للحضارات القديمة اهتمام هذه الأمم بعدد السكان ومعرفة الشباب منهم على وجه الخصوص ولربما حصل هذا الاهتمام لأغراض حربية لمعرفة القوى القادرة على العمل والبناء والانتاج، إذ ان معرفتها تقود الى إمكانية حساب الغلال الزراعية وتقديرها ومن ثم تحديد الضرائب[١٤]. فالحضارة في مفهومها العام هي ثمرة كل جهد يقوم به الانسان لتحسين ظروف حياته سواء اكان المجهود المبذول للوصول لتلك الثمرة مقصوداً ام غير مقصود وسواء اكانت الثمرة مادية ام معنوية، ولاشك في ان البيئة الجغرافية التي ينشأ فيها شعب من الشعوب لها اثر كبير في الشكل الحضاري الذي ينشئه، لان الانسان يأخذ مادته الحضارية مما حوله والظروف الطبيعية التي تحيط به لها اعظم الاثر في تحفيز همته الى العمل والانشاء والابتكار، فالحضارة ظاهرة انسانية عامة ، والانسان هو المخلوق الوحيد الذي

يرتقي ويعمل على تحسين احوال نفسه بفضل ما اهداه الله من عقل يمكنه من التفكير واختزان المعلومات والربط بينها والافادة منها[١٥]. ومن هذا التعريف المبسط للحضارة يمكن ان نستنتج ان تطور الاهتمام بالظواهر السكانية في الحضارات القديمة ومنها الحضارة في بلاد الرافدين ما هي الا انعكاس للبيئة الجغرافية التي نمت فيها تلك الحضارة، اذ اعتمد تطور ذلك الاهتمام على ما كان يصدر من الحكام والملوك والمشرعين من قوانين تنظم المجتمع السكاني في المدينة او الدولة او المملكة، فالحاكم في الحضارات العراقية هو بمثابة الالهة او ممثل الالهة على الأرض او هو الرسول والمشرع لما تريده الالهة لذا فتشريعاته سارية على ابناء شعبه بشكل قطعي، وهذا بعكس الحضارات اللاحقة مثل الحضارة الرومانية واليونانية التي اعتمدت على اراء الفلاسفة والمفكرين والعلماء.

يتبين ان اهمية الظواهر السكانية لدى الحكام والملوك في بلاد الرافدين اختلفت بحسب تنوع الحضارات في المنطقة الجغرافية نفسها سواء اكان هذا التنوع زمانياً لتعاقب الحضارات فيها ام مكانياً كونها تتمثل في مناطق شمالية ووسطى وجنوبية من تلك البقعة الجغرافية التي سميت ببلاد الرافدين او ما بين النهرين (Mesopotamia) لذا فان دراسة تلك الظواهر السكانية ربما تعكس بعض التراث الحضاري عنها كونها تسلط الضوء على مدى الاهتمام بالسكان وعلى الرغم من ان المصادر الاثارية قليلة عن هذا الموضوع ولكن بعض الاكتشافات الاثرية اوضحت ذلك الاهتمام وايدت ان تلك الحضارات رغم تنوعها فهي تدعوا الى الزيادة في السكان سواء أكان بزيادة الانجاب ام التبني ام جلب الرقيق من البلاد الاخرى.

المبحث الثالث : الظواهر السكانية في بلاد الرافدين

تمثلت الاهتمامات بالظواهر السكانية في الحضارات القديمة بما دلت عليه الاكتشافات الاثارية لبعض المقتنيات والقى الاثارية في الحضارات المتنوعة التي سادت في بلاد الرافدين منذ الازل إذ تعد قرية جرمو[*]، اقدم مستوطنة زراعية من مستوطنات العصر الحجري الحديث اذ اطلق على مجتمعها السكاني (مجتمعات القرية الزراعية البدائية) فقد شكل الإنسان فيها أكبر تأثير في البيئة المحيطة[١٦]، كشفت التنقيبات الاثرية فيها بأنها تعود الى (٦٧٥٠ ق. م) وقدرت فيها البيوت للسكن ما بين (٢٥-٣٠) بيتاً وعدد سكانها نحو (١٥٠ نسمة)، وقد وجد فيها دمى تقديس المرأة في كونها الهة الأم (Mother Goddess) وهو اقدم نموذج لها[١٧].

وعثر على دمية مصنوعة من الفخار تمثل الالهة الام في اثار تل حلف[*] ايضاً في الموضع الاثري (تبه كورا) في الموصل وهي مصنوعة بهيئة امرأة بدينة تضع يديها على ثدييها المبالغ في كبرهما وجسمها مزين

بخطوط يظن انها نوع من الوشم ، وهذه هي اول معبودة بصورة امرأة رمز لقوى الخصب والانجاب وقوى الطبيعة المولدة الغامضة[١٨]. وهذه التماثيل وجدت في معظم المواقع الاثرية التي تمثل بدايات الحضارة في بلاد الرافدين وقد صنعت بمختلف المواد من حجارة وطين مفخور ومرمر وغيرها ومما يدل على ان تلك المجتمعات كانت حريصة على زيادة الخصب وكثرة انجاب الاطفال مما يشير الى مجتمع فتي يحاول التغلب على الظروف الطبيعية المحيطة فيه اذ استثمر كل ما في طبيعته من اجل البقاء والاستمرار لأحداث ثورة في الانتاج.

تعني كلمة ثورة بحسب رأي عالم الاثار (شايلد ١٩٢٩) هي تراكم التغيرات الارتقائية المتواصلة في التنظيم الاجتماعي والبنية الاقتصادية للمجتمعات البشرية وهذا ما اكد حدوثه الباحثين في الاثار بأن العصر الحجري الحديث هو بداية الثورة الانتقائية تلك فالزراعة وتدجين الحيوانات وصناعة الفخار هي السمات المميزة للدور الاستيطاني الذي اتى بعد قرية جرمو[١٩].

اما في دور العبيد[*] فتدل بقايا القرى التي جرى التحري فيها في جنوبي العراق وشماله مثل (اريدو والعقر وتبه كورا) على اتساع القرى في هذا الدور الاستيطاني وتقدم بناء المساكن وازدياد استعمال اللبن المنتظم في البناء وكثرة القبور وعدد دور السكنى تدل هي الاخرى على تكاثر سكان القرى فقد وجد في اريدو حوالي (الف قبر) من دور العبيد في مقبرة خارج حارات السكن منتظمة والقبور مبنية باللبن، ومما لا شك فيه ان الزراعة في هذا الدور اتسعت واصبحت زراعة ري ولاسيما في السهول الرسوبية الوسطى والجنوبية وهي تعد اولى مشاريع الري قام بها العُبيديون الجنوبيون بوجه خاص، فكانت في مقدمة العوامل التي حفزت الانسان على تنظيم المجتمع وظهور المعالم الأولى من نظام الحكم إذ ظهرت ملامح نظام المدينة المعبدية والحكومة المعبدية، وهو ما كان حافزاً لظهور طور التكوين الحضاري (Formatve phase) او ما يطلق عليه بدور الشبيه بالكتابي[*]، اذ تطورت القرى الكبيرة فصارت اولى المدن ونواة لظهور التمدن والحياة الحضرية ونظام دولة المدينة[٢٠]. وان ظهور البنايات الكبيرة التي رجح الباحثين بأنها قصور ظهرت في دور جمدة نصر[*] وهي دليل على نشوء الطبقات الاجتماعية المتميزة بالثروة والسلطة اي الطبقة الحاكمة، فضلاً عن القبور المشيدة على هيئة مصاطب ذات الطلعات والدخلات في جدرانها وهي من الزخارف المعمارية المميزة لعمارة المعابد في حضارة وادي الرافدين، وعثر في كيش على مجموعات من الدور السكنية لها اهمية لأنها تمثل نظام السكنى في عصر فجر السلالات[*] ووجدت الشوارع او الازقة الفاصلة ما بين البيوت، فضلاً عن وجود المقابر ولاسيما المقبرة الملكية إذ وجد الملوك والملكات والامراء مقبورين مع حاشيتهم واتباعهم وانفس متاعهم واثاثهم[٢١].

وقد اكدت بعض الالواح السومرية مدى الاهتمام بالسكان في توضح اعدادهم ولاسيما لوح الملك (اشور ناصربال الثاني) صورة (١) الذي ذكر فيه الاحتفالات والمهرجانات التي اقيمت لافتتاح قصره بشكل رسمي (٨٧٩ ق. م) فقد تضمن تفاصيل عن أنواع الطعام التي اعدت لتكفي ما يقارب (٧٠ الف مواطن) لمدة عشرة ايام اذ اتاحت هذه المعلومات السكانية تقدير عدد السكان لمدينة (كلخو) بعد ان جعلها الملك عاصمة لدولته ، وكان العدد السكاني هو (٦٨ الف مواطن) بما فيهم الاطفال ، وهو يعادل نصف عدد سكان نينوى الذي ذكر في العصر القديم من الكتاب المقدس[٢٢]. إذ اجرى سكان بلاد الرافدين أول احصاء سكاني معروف حوالي (٣٨٠٠ ق. م) أي منذ ما يقارب (٦٠٠٠ عام) إذ تشير سجلات النصوص المسمارية الى أنه كان يجري كل ست او سبع اعوام واستعملوا الاحصاء السكاني كدليل أساسي على كمية الطعام التي يحتاجونها لكل فرد من السكان، وتشير الأدلة الاثارية الى أنهم سجلوا التعداد على الواح من الطين ويوجد مثال على تلك السجلات في المتحف البريطاني، ويشمل الاحصاء عدد الاشخاص والماشية وكذلك كميات الزبدة والعسل والحليب والصوف وغيرها[٢٣]. وهذا دليل اكيد على مدى الاهتمام بالظواهر السكانية في تلك البقعة الجغرافية المميزة.

صورة (١) تمثل لوحة من الصخر الرملي للملك اشور ناصر بال الثاني منقوش حول صورته ١٥٣ سطراً تمجد قيامه بافتتاح عاصمته عام ٨٨٩ ق. م



المصدر: سيتون لويد، اثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ترجمة: محمد طلب ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا ، ١٩٩٣، ص٢٩٢.

واذا كان هذا يمثل أول أنواع التعداد او الاحصاء السكاني فأن الكثير من الابحاث حاولت تحديد عدد السكان في الماضي، وقد اكد معظم الباحثين ان السكان في زيادة مستمرة الى الوقت الحالي فقد شهدت السنوات الحديثة تزايداً في معدل نمو السكان بدرجة لم يسبق إليها في تاريخ البشرية[٢٤]. اذ ركزت الدراسات على العلاقة المتبادلة بين السكان وبين بيئاتهم الفيزيقية والبيولوجية وذلك اعتماداً على مفهوم نسق البيئة (Eco – System)، الذي قصد به مجموع النباتات والحيوانات والبشر المرتبطة ببعضها مع الخواص الفيزيقية لبيئتهم. ولقد ساعدت هذه المفهومات والمسلمات الايكولوجيا البشرية في الوصول إلى مجموعة من النتائج التي توضح أن النمو الماضي لسكان العالم لم يكن ممكناً بدون أن يحدث الإنسان تغيرات حاسمة في نسق بيئته مع العلم بأن المقصود بالتغيرات ليس التغيرات الكمية التي تجعل علاقة الإنسان الحديث ببيئته تتفوق على علاقة الإنسان البدائي ببيئته – وإنما يقصد بها تلك التغيرات في النسق الايكولوجي وخاصة التغير في التكنولوجيا والتنظيم تغيراً يعمل على زيادة الإنتاج بقدر الإمكان إلى حد يفوق مقدار الإنتاج الذي كانت تنتجه كمية العمل في الفترة السابقة، وكانت تلك التغيرات تمثل إحدى الاليات الأساسية التي تمكن بواسطتها الإنسان أن يحافظ على التوازن بين الزيادة في السكان وبين الزيادة في وسائل العيش. هذا فضلاً عن أنها تؤكد أن تزايد وسائل العيش لم يكن تزايداً آلياً يساير نسبة التزايد في السكان[٢٥].

مما سبق نستنتج ان الحضارة في بلاد الرافدين لها تعاقب زمني واضح وان التدرج بالتطور الإنسان الأول الذي بدون شك كانت له لغة متخلفة ولم يعرف استعمال النار كان تعداده قليل بضع افراد. ولكن أدى استعمال النار بعد ذلك وتطور وسائل العيش إلى زيادة السكان، ومن ثم أدى التحسن في الأدوات المخصصة للصيد وخاصة (الهراوة والرمح والسهم والقوس) إلى تطور الجماعات الإنسانية الصغيرة إلى قبائل الرحل، ومن ثم إلى المجتمعات القبلية المستقرة، وأدى اختراع الفأس وأساليب الزراعة البدائية إلى زيادة في الغذاء وموارد العيش، مما كان له أثره على نمو السكان. وأرجع العلماء تضاعف السكان إلى (١٦ مرة) في المدة (٨٠٠٠ – ٤٠٠٠) ق. م إلى تطور أساليب الزراعة. وكان وجود الحيوانات المستأنسة إلى جانب استعمال المحراث وري الأرض الزراعية، واستعمال السماد والمحركات ذات العجلات وغيرها، في المجتمعات الزراعية، يسهم في تزايد الإنتاج. ويتضح من الجدول (١)، ان نمو سكان العالم بطيئاً حتى العام (5000 ق. م) وقد عاش الانسان حياةً بدائية باعتماده على الجمع والالتقاط والصيد وحتى قاتل لبني جنسه الا انه بدأ في مزاولة الزراعة وتربية الحيوان في الشرق الاوسط حوالي عام (7000 ق. م) مما ادى الى تغيير جذري في طريقة عيشه وقد كان لذلك دوراً

في زيادة قدرة الأرض على اعالة الجنس البشري لذا تضاعف معدل النمو السكاني عشرات المرات بين عامي (10000 و4000) ق. م فقد ادى تطور الزراعة الى تأسيس الاستقرار الدائم للسكان والغى عملياً حياة الترحال مما اسهم في ظهور المناطق الحضرية الأولى حيث يعيش عدد كبير من السكان منذ (5000 ق. م) إذ انطوت على حياة التحضر التخصص في العمليات الانتاجية مقارنة بالمجتمعات البدائية مما زاد عمليات التبادل وقاد التخصص الى تزايد مستويات المعيشة مما أدى الى نمو سكاني متسارع[٢٦].

جدول (١) تطور سكان العالم ومعدلات نموهم قبل الميلاد

السنوات (ق. م)	عدد السكان التقديري (مليون)	معدل النمو المقدر %
300000	1000000	–
25000	3000000	0.0031
10000	4000000	0.0045
5000	5000000	0.034
4000	7000000	0.069
3000	14000000	0.066
2000	27000000	0.061
1000	50000000	0.14
500	100000000	0.14
200	150000000	0.06

المصدر: مفيد زنون يونس ، اقتصاديات السكان ، ط١، الاكاديميون للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ٢٠١١، ص١٩.

ان لكل حضارة ارست قواعدها في بلاد الرافدين اهتمام خاص بالظواهر السكانية فالحضارة السومرية اجازت القوانين تعدد الزوجات فللرجل الحق بأن يتخذ له زوجة ثانية عند انحراف زوجته اخلاقياً ، ومن الاخلاقيات السومرية ان ينتظر من المرأة ان تلد لزوجها والدولة كثيراً من الابناء فاذا كانت عاقراً جاز طلاقها لهذا السبب وحده ، اما اذا كرهت ان تقوم بواجباتها مثل الامومة فكانت تقتل غرقاً وكان للآباء اذا تبرؤوا من ابنائهم علناً يقوم ولاة الامر بنفيهم من المدينة. اما الحضارة البابلية فخير ما يمثل اهتمامها بالظواهر السكانية هي اعمال حمورابي الكثيرة وتشريعه الجامع الذي يعد واحداً من تلك الاعمال وقد ضم (٢٨٥ قانوناً) رتبت ترتيباً يكاد يكون

هو الترتيب العلمي الحديث فقسمت الى قوانين بالأملاك المنقولة والعقارية وبالتجارة والصناعة وبالأسرة وبالأضرار الجسمية وبالعمل ، وبصدد الاخلاقيات ذات النتائج على الواقع الديموغرافي تذكر ان زواج البابلي يقتصر على زوجة واحدة عادةً ، وكان عقم الزوجة يجيز طلاقها وبذلك يشير القانون (اذا لم تكن سيدة حريصة على اداء واجبها مهملة لشؤون بيتها مستخفة بأطفالها وجب ان تلقى في الماء) . اما الاشوريون فيتوزع مجتمعهم في خمس طبقات هي الاعيان ورجال الصناعة المنتظمون في الريف والاقنان المرتبطين بالأرض المزارع الكبرى والارقاء واسرى الحروب او سجناء الديون ، وكان هذا المجتمع يشجع على الاكثار من النسل بقوانينه الاخلاقية وبما سنه في الشرائع شأنه في ذلك شأن جميع المجتمعات العسكرية ، فكان الاجهاض عندهم جريمة يعاقب عليها القانون بالإعدام، وكانت المرأة التي تجهض نفسها وحتى التي تموت وهي تحاول فعل ذلك تحرق بعد موتها، فلقد كانت منزلة النساء في اشور اقل منها في بابل ، وفي الوقت الذي يشدد فيه القانون والعرف على انحراف المرأة فهو بالكاد يجيز ذلك للرجل وبشكل عام كانت قوانين الزواج في اشور مثل تلك التي سادت في بابل سوى امراً واحداً هو ان الزوج في كثير من الاحيان له ثراء بسيط وان الزوجة كثيراً ما كانت تعيش في منزل ابيها ويزورها الزوج من حين الى اخر[٢٧]. نستنتج من ذلك ان الاهتمام في الظواهر السكانية في بلاد الرافدين من اهم العوامل التي اسهمت في نشوء الحضارة وتطورها وهي تتمثل بالاستقرار والنمو السكاني وظهور المدن (التحضر) والتخصص المهني ، فضلاً عن التوزيع والتنوع السكاني والتفاوت الاجتماعي والهجرة السكانية ، يمكن توضيح اهمية الظاهرة السكانية في بلاد الرافدين من خلال النقاط الآتية :

١. استقرار السكان وقيام المدن الأولى:

ساد نظام دولة المدينة (City State) او عصر (دويلات المدن) في حضارة بلاد الرافدين في عصر فجر السلالات وان اصوله تمتد في جذورها الى زمن ظهور أولى مراكز الاستيطان البشري في السهل الرسوبي منذ الالف الخامس قبل الميلاد اذ كانت الفكرة الغالبة بين محافل العلماء ان اولى الاقوام الذين سكنوا جنوبي العراق سكنوا في اكواخ من القصب وعاشوا على صيد الاسماك والطيور في حياة بدائية، وسمي هذا العصر بعصر العبيد، وان تلك الاقوام كانت لهم مدنية ومعتقدات ونظام مجتمع اذ وجد لهم معابد منتظمة الشكل ودور سكنى مشيدة باللبن[٢٨]. وهذا يدل على اقتران ظهور اولى المدن بنشوء التمدن والعمران الحضري وظهور الحياة الحضارية المدنية (Urbanization)، لذا يمكن القول بأن حضارة وادي الرافدين تفردت بظهور نظام دولة المدينة كونه أول شكل من أشكال الحكم في التاريخ البشري ، حيث نمت في المدينة وفي دولة المدينة فكرة

المواطن والمواطنة ، فكانت المدينة اكثر من كونها تجمعاً سكانياً بل وحدات سياسية واقتصادية ينطبق عليها مصطلح دولة المدينة، اذ تكونت من مدينة مركزية هي العاصمة يتبعها مدن أخرى وعدد من القرى والارياف والاراضي الزراعية ، فقد انفرد عصر السلالات بظاهرة كثافة المراكز العمرانية في السهل الرسوبي[٢٩]. وعلى الغالب كانت تتكون من ثلاثة اقسام رئيسة هي مركز المدينة المسمى باللغة الاكدية قلب المدينة وضواحي المدينة وتسمى بالسومرية المدينة الخارجية او (البرانية) واخيراً قسم الميناء والتجارة ومستودع البضائع الذي يطلق عليه بالسومرية (كار) وبالاكدية (كاروه) ، وان تلك المدن قدر السكان في بعضها مثل مدينة لجش بحوالي (٣٦٠٠٠ نسمة) ومدينة اشنونا بحوالي (٩٠٠٠ نسمة) ومدينة خفاجي حوالي (١٢٠٠٠ نسمة) في حين بلغ سكان مدينة اوما (١٦٠٠٠ نسمة)[٣٠]. ويقسم السكان في تلك المدن بالنسبة الى طبقاتهم الاجتماعية الى: الطبقة الحاكمة وهي رأس المجتمع ومعها الطبقة المالكة الارستقراطية ومنهم الكهنة وشيوخ المدينة، وطبقة عامة الناس من الأحرار من اهل الطبقة الوسطى والفلاحين الاحرار والصناع والاجراء ، ولعل هؤلاء كانوا يؤلفون نصف السكان في دولة المدينة، وطبقة الاتباع او صنف الاتباع او ما يضاهي المصطلح العربي (الموالي)، ومنهم الصناع التابعون الى المعبد وعماله المشتغلون في صناعاته المختلفة مثل الحياكة والنسيج وصنع الجعة والخمور وزراع اراضي المعبد والتابعون الى الطبقة الارستقراطية، ويأتي في اسفل السلم الاجتماعي العبيد الارقاء سواء كانوا مملوكين من جانب القصر ام المعبد ام الأفراد[٣١]. وهنا يتضح انه مجتمع سكاني متكامل وهذا دليل على ان الظواهر السكانية من معرفة حجم وعدد السكان بل وحتى معرفة الطبقات الاجتماعية المتنوعة فيها واحصاءها وتقسيمها لا يتم الا بوجود اهتمام كبير في دراسة السكان داخل ذلك المجتمع ومعرفته حق المعرفة مما اسهم في بناء دولة المدينة واستقرارها السياسي بل ان القوة تأتي من تزايد عدد السكان وبالتالي تزايد الانتاج من جهة كقوة اقتصادية وتزايد عدد الجنود كقوة سياسية.

٢. توافر الايدي العاملة:

نستشف من الكثير من النصوص الاقتصادية ان السكان بالمجتمعات القديمة في بلاد الرافدين كانوا يعملون في قطاعات ومهن مختلفة، وعلى الرغم من ان مصدر الثروة في المجتمعات القديمة كان من خلال العمل الزراعي، لكن لا ينبغي التوهم أنه لا يوجد تنوع في العمل ، وهناك طرائق متعددة لتمييز العمل على سبيل المثال من خلال قطاع العمل او صاحب العمل ومن الضروري التمييز كذلك بين مصادر الدخل والمهن وبالتأكيد ان هنالك الكثير من الناس كانوا يعملون في قطاعات ومهن مختلفة، ففي القطاع الزراعي مثلاً كان

هناك الرعاة والحراثون والمزارعون والبستانيون، وعاصري النبيذ والعاملون في الحقل الزراعي كما شملت المهن الريفية الصيادين وقاطعي الأشجار وجامعي القار، وكان من بين الحرفيين البنائين، وقاطعي الاختام، وصانعي الاقواس والخزافين والنحاتين والنجارين وصانعي السلال وبناة القوارب، وينبغي تمييز هؤلاء عن اصحاب المهن الاخرى مثل التجار والأطباء والكتبة والكهنة والمشرفين والحلاقين والبغايا وذوي المهن الصناعية مثل الحائك والصائغ والنساج والخبازين وصانعي الاحذية، في حين كان البحارة والجنود ينتقلون بين مهن مختلفة فهم يزاولون في بعض الاحيان التجارة او الزراعة. واشار عالم الاثار (هانز نيسين) الى ان قوة العمل التي انشأت معبد آنو او مجمع المعبد الابيض في الوركاء بلغت (١٥٠٠ عامل)[٣٢] وهذا دليل على ان معرفة عدد العمال هو نتيجة اجراء تعداد لهم، ولم يقتصر التعداد للعمال والحرفيين بل ان تعداد الجيوش او العاملين كجنود ففي عصر فجر السلالات كان قد شغل بالحروب والنزاع ما بين دويلات المدن، فظهرت الحروب المنظمة لأول مرة في تاريخ حضارة بلاد الرافدين، ولكن لا يمكن تقدير الجيوش في تلك المدن المختلفة ، على الرغم ان هناك بعض النصوص المدونة من مدينة لجش في تلك المدة مثال على ذلك اخبار معبد لجش الرئيس انه جهز من اتباعه نحو (٦٠٠ –٥٠٠) رجل ليخدموا في جيش دولة المدينة وفي نص اخر انه تم قتل (٣٦٠٠ رجل) من جيش دولة المدينة المعادية اوما[٣٣]. ولم تستثن تلك الاحصاءات العمال والخدم في المعابد كلاً بحسب الهة التي يتبعون لها مثلاً يتبع الالهة (تنجرسو) ما بين (٦٠٠٠–٥٠٠٠) عاملاً وخادماً، في حين خصص لمعبد الالهة (ناشه) زهاء (١٠٠٠ تابعاً)، وقدر عدد الخدم والعبيد في معابد دولة لجش بنحو (١٠٠٠٠ شخصاً) مضاف اليهم نحو (٢٠٠٠٠ شخصاً) من الاحرار[٣٤]. ويتضح من ذلك ان التركيب الاقتصادي لفئات المجتمع من حرفيين وصناع وعمال وخدم وعبيد كان موجوداً بشكل أو بآخر ضمن السجلات الاقتصادية التي سجلها الكتبة في كل حضارة والتي وصلت بواسطة التنقيبات الاثرية فالمعلومات فيها غزيرة حول هذه الاحصاءات بل وحتى ذكر اجرة العمال والقوانين التي تحددها.

٣. تطور التنظيم السياسي والاداري:

ان حجم السكان وتوزيعهم وكثافتهم وتركيبهم الاجتماعي كلها خصائص سكانية تؤثر بشكل مباشر على نشوء السلطة السياسية وتطور مؤسسات الدول، إذ يؤدي تزايد السكان واستقرارهم في المدن الى الحاجة لسلطة تنظم شؤون المجتمع وتحفظ الأمن وتدير الموارد العامة لذا فقد ساهمت كثافة السكان في بلاد الرافدين الى نشوء المدن ذات الإدارة المركزية القوية، مما يعني الحاجة الى موظفين وكتبة وجباة ضرائب وقضاة لإدارة شؤون

المجتمع وبالتالي تطور الجهاز الإداري[٣٥]، ولا يمكن اغفال ما لإثر الكثافة السكانية في توفير قاعدة اقتصادية وبشرية للدولة من خلال الضرائب والعمل الاجباري والخدمة العسكرية ، إذ يعد السكان مصدراً اساسياً لتجنيد الجنود والدفاع عن الدولة فكان هذا سبباً واضحاً لعمليات الاحصاء السكاني في بلاد الرافدين[٣٦].

يؤدي ازدياد السكان الى نمو المدن واتساع نفوذ الدولة خارج حدودها مما يستدعي تطوير النظم السياسية لإدارة اقاليمها ومن ثم اصدار القوانين والتشريعات لتنظيم المجتمعات في تلك الاقاليم[٣٧]، وان ولع الكتبة السومريون بالتسجيل والتنظيم والتعليم وحفظ الوثائق كان تراثاً متأصلاً ورثه كتبة سلالة اور الثالثة اذ وضحت تلك الوثائق ان جهاز الدولة الوظيفي كان يتكون من طبقة من الموظفين لهم درجات عليا مثل مديري المشاغل والمصانع الخاصة بالقصر والمعبد وكبار الموظفين الموكلين بإدارة املاك القصر والمعبد والكهنة والكاهنات وقادة الجيش وحكام المدن والاقاليم وتحت ايديهم تأتي طبقة من الكتبة والمسجلون وهم على مراتب ودرجات وبضمنهم المحاسبون والموظفون الصغار، ومن ثم ظهرت دوائر اقتصادية مهمة مثل دائرة المقاييس والمكاييل المسئولة عن تنظيم الاوزان والمكاييل الرسمية وظل هذا النظام معمول به حتى الادوار التاريخية المتأخرة[٣٨]، اما في المجتمع الاشوري فالملك يقوم على رأس ماكنة الدولة الاشورية اذ يجمع في شخصه كل السلطات الزمنية والدينية ، فكان في قمة الهرم من سلطات الدولة ، بل أنه كان الدولة نفسها ، واما جهاز الدولة من كبار الموظفين وصغارهم مدنيين وعسكريين فكان كلهم خدم الملك اما السلم الاجتماعي فنجد ان الطبقة العليا للمجتمع هم النبلاء وبعدهم تأتي طبقة الناس الاحرار وفي مقدمتهم ذوو المهن والحرف الاحرار مثل اصحاب المصارف والتجار والاطباء والكتبة والصناع وكانوا منظمين في جمعيات او نقابات على غرار نقابات العصور الوسطى في اوروبا ، ومن ثم تأتي الطبقة الوسطى وهي من الاحرار او عامة الناس من الفلاحين والاجراء ، وبعدها طبقة العبيد الكثيرة العدد في المجتمع الاشوري ومصدرها بالدرجة الأولى أسرى الحروب ، اما اكثر اعداد للسكان فكان ضمن الجيش الاشوري فهو محور المجتمع الاشوري فكانوا يهتمون بنوعية الجنود واعدادهم وعدتهم ونظام التدريب والضبط الصارم، وكان مصدر الجنود هي طبقة الفلاحين الاشداء وبمرور الزمن واتساع رقعة العمليات الحربية فبدأ الملوك يؤلفون جيوشاً قائمة من سكان الولايات التابعة فالكثير منهم كانوا يتطوعون في الجيش بصفتهم جنداً مرتزقة[٣٩]. يتبين من ذلك ان معظم الحضارات في بلاد الرافدين كان لها تنظيم سياسي واداري خاص بها وعلى الرغم من تشابه ذلك النظام في الترتيب العام الا ان التفاصيل مختلفة بحسب الحكام والملوك وتشريعاتهم وقراراتهم فضلاً عن اتساع رقعة الدولة وازدياد عدد السكان وتفاوت الطبقات

الاجتماعية ، فلكل مجتمع عدد سكانه الذي يشجع الملك او الحاكم في تنظيمه سياسياً وادارياً ولاسيما تنظيم الموظفين المدنيين والعسكريين وكلما زادت رقعة الدولة زاد عدد السكان الذين ينضوون تحت حكمها مما يزيد من اعباء الدولة في توفير الاراضي الزراعية والمنتجات لتغطية استهلاك السكان مما يزيد من اعداد الكوادر الادارية فيها.

٤. تنشيط التجارة والصناعة

اسهمت الزيادة السكانية في بلاد الرافدين الى تنشيط الاقتصاد بجانبيه التجاري والصناعي إذ وفرت الاعداد الكبيرة من السكان في المدن التي تكونت منها بلاد الرافدين قوة عمل كبيرة ومتخصصة واسواق واسعة لتصريف المنتجات وتطور التبادل التجاري بين الاقاليم المجاورة لتلبية احتياجات السكان من المواد الأولية والسلع الاستهلاكية[٤٠]. وعلى الرغم من ان الزراعة في جميع عهود حضارة وادي الرافدين كانت المورد الاساس للازدهار الاقتصادي، ولكن التجارة الخارجية كانت مورداً لا يقل اهمية عنها كون الاثنين هما عماد الحياة الاقتصادية، فالبيئة الطبيعية للسهل الرسوبي تفتقر الى المواد الاولية الضرورية لأنشاء الحضارة مثل المعادن والاحجار والاخشاب الصالحة للبناء ، فكانت التجارة الوسيلة التي كان السكان يحصلون بها على مثل تلك المواد[٤١]. فقد كان الهدف من عصر الفتوحات الاكدية بالدرجة الاولى السيطرة على البقاع الغنية بالموارد والمواد الأولية الضرورية لازدهار الحضارة ، وقد حققت السيطرة الفعلية الدائمة على اشهر مصادر التجارة الخارجية فيكون بذلك الفتح الاكدي أول نظام للإمبراطورية وطلائع الاستعمار الاقتصادي المباشر[٤٢]،فقد دلت الآثار المادية المكتشفة في المستوطنات او القرى الزراعية القديمة التي تعود الى الالفين التاسع والثامن ق. م. الى ممارسة نوعين من التجارة عدت الأولى بتجارة ذات المسافات الطويلة والتي تسمى بالتجارة الخارجية ، والنوع الثاني يمثل ممارسة التجارة المحلية ذات المسافات القصيرة داخل نطاق ارض القرية الذي جاء متزامناً مع بداية التخصص بالعمل وإنتاج ما يفيض عن حاجة الفرد الذاتية كذلك التنوع في المنتجات والسلع أدى الى التبادل النفعي بين السكان وفق احتياجاتهم ، فظهرت طبقة من السكان مهمة وثرية تمثلت بأصحاب رؤوس الأموال من الأفراد الذين مارسوا مهنة التجارة اذ اشارت النصوص المسمارية على ظهور دور كبير للتاجر في الحياة الاقتصادية فهو يمثل المحور في النشاطات المالية والتبادل التجاري وجمع الضرائب ويعمل كوسيط تجاري يقوم بنقل البضاعة من اقليم إلى آخر، وقد عدت الاسواق احدى المقومات التجارية المهمة إذ توفد إليه قوافل التجار وتتقادم المنتوجات الزراعية والحيوانية من المزارعين فضلاً عن توافد المستهلكين لشراء حاجاتهم،

وربما تواجد هناك الحمالين وقد يتواجد الكتبة لتنظيم عقود الشراء والبيع، ويرتبط وجود هذه الأسواق بالميناء الذي يؤلف جزء مهم من تخطيط المدينة، وقد ذكرت النصوص المسمارية بأنه الموضع الذي يجتمع فيه التجار والملاحين لشحن بضاعتهم إلى السفن أو تفريغها منها فضلاً عن اجراء المبادلات التجارية[٤٣]. إذ ادت الملاحة في نهر الفرات وفي جداول الري دوراً مهماً في دعم الاتصال المستمر بين السومريين في الجنوب والساميين في الشمال، فكانت السفن تسير في نهر الفرات مارة بالمستوطنات السامية على طول ضفاف الفرات في طريقها الى بلاد سومر وهي تنقل بالعسابي[*] من هيت القار الذي كان يحتاجونه السومريين بكميات كبيرة في بناء مختلف منشآت الري في مشاريعهم الزراعية[٤٤]. اذ تذكر نصوص فترة اور الثالثة ان احواض بناء السفن كانت تعمل على مدار السنة ويعمل بها ما بين (٩٠٠-١٠٠٠) شخص، بتنوع كبير من الموظفين المرتبطين بتلك الأحواض بما في ذلك النجارين وصناع السفن والملاحين ، ومما يدل على أهمية الملاحة البحرية والنهرية انه في مدينة لجش كان عُشر سكان معبد (باو) من ملاحي القوارب وكان عددهم يبلغ حوالي (١٢٥ شخصاً) وهم الملاحين بما فيهم من المجدفين وقائدي القوارب والسفن من الاحرار اما طاقم السفينة فمن العبيد، ويشارك عمال بناء السفن عمال صناعة الاشرعة من القماش وصناع الجلود وعمال صنع مادة القار لطلاء القوارب والسفن[٤٥]، ولم تقتصر التجارة على النقل المائي بل استعمل سكان بلاد الرافدين منذ عصور قديمة النقل البري بواسطة استعمال أنواع متعددة من الحيوانات لنقل بضاعهم مثل (الحمير والبغال والابل) فضلاً عن استعمال العربات كواسطة نقل، فالجهد الجماعي للأفراد وهم يقومون بنقل البضائع والسلع في عربات تجرها البغال او سحب السفن او تحميل البضائع لها تعد فرصة عمل للكثير من الاشخاص غير المرتبطين بمهنة او حرفة معينة فذكرت بعض النصوص المسمارية اعداد العمال المؤجرين لذلك العمل فقد يصل عدد العمال الى (٢٥ عاملاً) لتحميل البضاعة للقوافل البرية او ربما اكثر لسحب السفن فقد ذكر نص مسماري انه وصل عدد العمال لسحب السفن الى (١٠٠ عامل) في حين تم استجار عمال لسحب الثور المجنح بلغ (١٠٠٠ عاملاً)[٤٦]. اما الصناعة فلها دور كبير في احتواء أعداد كبيرة من السكان الحرفيين والذين يمتهنون الصناعات المتنوعة وكان يطلق عليهم اسم الصناع ولهم محلات واماكن خاصة لكل نوع من الصناعة ، وتعد صناعة الملابس أو الكساء من أولى المتطلبات الضرورية لحياة الإنسان لذا ظهرت صناعة المنسوجات، إذ وردت تسمية الخياط في الكثير من النصوص المسمارية وكذلك وردت تسمية للمرأة الخياطة باللغة السومرية والاكدية اذ كان حضور المرأة واضحاً في مثل هذه الصنائع الصغيرة ، وكان الخياطون ينجزون اعمالهم في اماكن عمل مخصصة لهم وكانت

اجرة الخياط في زمن الملك حمورابي تساوي (٥ حبات فضة) اما الخياطين من العبيد والاماء فيستلمون جرابات عينية تتمثل بكميات من الشعير والصوف وبعض قطع الاقمشة[٤٧]، وقد كان للزراعة مستلزمات وادوات حاول الانسان تلبيتها لتطوير الانتاج، ومن ثم ادى التطور وظهور الحياة الحضرية الحاجة الى مستلزمات وادوات اخرى مثل صناعة الفخار والمنتجات النسيجية والجلدية ومتطلبات الزينة والتجميل وصناعة الاختام والتماثيل والنصب والمسلات وغيرها، اذ بدأت الحرف الصناعية تتطور وتتوسع لتلبية حاجات المجتمع من سلع وأدوات وآلات جديدة أكثر تطوراً وأوسع استعمالاً[٤٨]، وبذلك بدأت بواكير عملية التصنيع تظهر إلى الوجود في بلاد سومر ثم أعقبتها النهضة الصناعية التي حدثت في عصور بابل وآشور فأخذت المنتجات البابلية والآشورية تصدر الى مختلف البلدان المجاورة وكانت لها سمعة جيدة في أسواقها[٤٩]، ويتضح مما سبق ان الانشطة الاقتصادية التجارية والصناعية تطورت بسبب زيادة السكان ونموهم فضلاً عن تمركزهم في المدن الكبيرة ، ومن ثم زيادة احتياجاتهم ومتطلبات معيشتهم ، فضلاً عن تنوع المهن والحرف التي يمارسوها لتوفير تلك المتطلبات سواء لهم ام لباقي افراد المجتمع، وقد حرصت معظم القوانين القديمة على ضمان حقوق وواجبات اصحاب تلك المهن والحرف لضمان الاصلاح الاقتصادي الذي يقوم على العدالة الاجتماعية التي سعى لها بعض الحكام والملوك في بلاد الرافدين.

٥. التطور الثقافي والحضاري

زيادة عدد السكان واستقرارهم في المدن الكبرى اسهم في ظهور الكتابة وتطور العلم والتعليم وتنوع المهن وبناء المعابد والقصور وازدهار الفنون والآداب، فكلما ازداد عدد السكان وتعقدت علاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية ازدادت الحاجة الى مؤسسات حضارية وثقافية أكثر تطوراً[٥٠]، وان تركز السكان في المدن الرافدينية دفع عملية التطور الحضاري والثقافي من خلال نشوء بيئة ملائمة لتبادل المعارف والخبرات وظهور المؤسسات الدينية والإدارية ومن ثم توثيق ذلك بالكتابات المسمارية[٥١]. إذ ادى اختراع الكتابة الى تسهيل عملية تسجيل السكان والأراضي والضرائب والانتاج الزراعي، مما ساعد الحكام على إدارة المدن وتنظيم مواردها[٥٢]، فان من مقومات حضارة بلاد الرافدين (دور الوركاء) ظهور بوادر الكتابة التي كانت على هيئة صور استعملت لتسجيل واردات المعابد ترسم على الطين الرطب بواسطة رأس قصبة ثم يجفف في الشمس او يطبخ حتى يصير آجراً (طين مفخور بالنار)، واطلق على طور ظهور الكتابة التصويرية هذا اسم (بروتوليترايت او العصر الشبيه بالكتابة)[٥٣]، ومن ثم تطور فن الكتابة في حضارة جمدة نصر وبدء انتقالها من طور الصور الى الرموز

والعلامات ثم صارت مقاطع ذات قيم صوتية مؤلفة من اسافين او خطوط اسفينية، ولما كانت هذه الخطوط الاسفينية تشبه المسامير شكلاً فقد سميت بالكتابة المسمارية او الكتابة الاسفينية ومن ثم تكاملت الجملة بإدخال الصيغة الفعلية فسهل التدوين بها، وقد انتشرت في معظم حضارة الشرق الأدنى وازداد هذا الانتشار في زمن حمورابي اذ دون شريعته المشهورة المؤلفة من (ثلاثة الأف سطر) بالخط المسماري، وبعد هذا التطور صارت الكتابة المسمارية مؤلفة من اسافين لا يظهر فيها أقل تشابه للصور الاصلية مما سهل استعمالها في تدوين المعدات وتسجيل الصكوك والرسائل واثبات الشؤون الأخرى على اختلاف انواعها، فاختراع الكتابة كان عاملاً مهماً في التقريب بين الناس المتباعدين فسهل وسيلة الجمع والتعاون بين الاقوام بمبادلة الرسائل والكتب، فضلاً عن تسجيلها مآثر تلك الاقوام من علوم وطقوس دينية وشرائع وعقود ورسائل وما الى ذلك من نشاطات حضارية ثقافية اخرى[٥٤]، وبرزت الى جانب تطور الكتابة صناعة الاختام التي اصبحت اداة لازمة من المقتنيات الشخصية لكل فرد من الطبقة الراقية وبالأخص موظفي الدولة الذين كانوا يدونون اسماهم عليها اضافة الى عبارات الاخلاص للملك الحاكم في ذلك الزمن، ثم تطورت فصارت تنحت عليها نقوش تتعلق بأعمال الآلهة والطقوس الدينية التي ينبغي اتباعها عند العبادة وتقديم القرابين، وكانت تصنع من مختلف انواع الاحجار والزجاج البراق والمعادن المختلفة منها الفضة والذهب في بعض الحلات[٥٥]. واثرت الهجرات التي اتخذت بلاد الرافدين موطناً في تطور اركان الدولة والمؤسسات الاجتماعية وانها عمدت الى نشر الوعي الثقافي بين السكان ، ومن الأمور التي ترتبت على ذلك ظهور المدارس الرسمية خارج المعابد وتحت اشراف القصر والكهنة ، بعد ان كانت تابعة للمعبد وتحت اشرافه، ومن جملة المدارس التي ظهرت (مدرسة سيبار ومدرسة كيش)، وشهد العصر البابلي القديم والعصر الكاشي نشاطاً كبيراً في حركة التأليف والترجمة والاستنساخ، ومن ابرز التآليف ملحمة كلكامش وقصة الخليقة وكثير من الاساطير والقصص الدينية الأخرى، وظهرت أولى المحاولات للتأليف بنصوص تشبه المعاجم اللغوية الحديثة دونت باللغتين السومرية والاكدية، فضلاً عن ظهور ما يعرف باسم الأثبات الجغرافية وهي عبارة عن معاجم صغيرة بأسماء المدن والمواضع الشهيرة، والحوليات الآشورية وهي عبارة عن نشرات ملكية تصدر بعدة نسخ بين حقب متعاقبة تتحدث بالدرجة الاولى عن الحملات العسكرية وعن الانجازات العمرانية للملوك الآشوريين[٥٦]. وان الفتوح الاكدية كان لها الاثر الواضح في تاريخ الحضارات البشرية والاتصال المباشر بين شعوب منطقة الشرق الأدنى ونشر الحضارة ، اذ استعارت الشعوب المجاورة الخط المسماري لتدوين لغاتها المختلفة، فانتشرت عناصر الحضارة ومقوماتها ، وكانت عاملاً مهماً في تحضر

كثير من الشعوب البدائية المتاخمة لوادي الرافدين عن طريق اقتباسها من عناصر هذه الحضارة واساليبها الحربية واسلحتها[٥٧]. يتبين من خلال ذلك الى ان سبب التطور الثقافي والحضاري هو زيادة عدد السكان ونموهم ولاسيما في المدن الرافدينية التي سعت الى تنظيم بعض المؤسسات الاجتماعية لزيادة التطور الثقافي ونشره في المجتمعات المجاورة فضلاً عن تأثير الاختلاط السكاني نتيجة الهجرات والغزوات للمدن والشعوب المجاورة ساعدت على ظهور التنوع والتمازج الثقافي في تلك المجتمعات.

المبحث الرابع : الظاهرة السكانية واصدار القوانين والتشريعات في بلاد الرافدين

خير مثال على الاهتمام الكبير في الظواهر السكانية المتنوعة هو اصدار القوانين التي تنظم الواقع الاجتماعي والعلاقات بين السكان لاسيما اذا كانوا بتزايد ونمو كبيرين ، وبما ان ابرز سمات الحضارة العراقية القديمة هي القوانين تلك لذا يلقي هذا المبحث الضوء على اهم تلك النصوص، اذ كان لتطور أنظمة الحكم وازدهار الحياة السياسية وظهور المملكة المركزية الموحدة اصبح اصدار القوانين أمراً ضروريا من اجل تنظيم العلاقات بين سكان المناطق المختلفة والمدن المتعددة التي كانت تخضع للحكم المركزي والأعراف والتقاليد وربما لأنظمة وتعاليم ملكية خاصة بها، لذا وجد ملوك العراق القديم ضرورة توحيد عمل المحاكم في جميع ارجاء المملكة في ظل قانون موحد[٥٨].

ان القوانين والشرائع ظهرت في اللغة السومرية وفي اللغة السامية البابلية ، وهذا معناه ان الساميين والسومريين كلاهما شارك في وضع القوانين والشرائع وليس هناك أي دليل على عدم وجود شرائع سامية لم تكتشف بعد، وان اقدم شريعة سومرية معروفة هي شريعة اور– نمو مؤسس سلالة اور الثالثة (٢١١١–٢٠٩٤) ق.م[٥٩]، وكان ذلك بعد حكم الاكديين الساميين الذي دام (٢٠٠ عام) (٢٣٧٠–٢١٦٠) ق.م ولا شك في ان اور–نمو اقتبس شريعته من الاكديين الساميين اذ ان اقدم شريعة سامية بابلية منسوبة الى الملك بلالاما اكتشفت في تل حرمل يرجع زمنها الى حوالي ١٩٧٠ ق.م[٦٠]، فالجانب القانوني ازدهر في بلاد الرافدين بمراحل مبكرة فقد حقق الحكام والملوك مستويات متقدمة جداً في القوانين المدونة والتي تعد شريعة حمورابي انموذجاً رائعاً لها[٦١]، إذ تجلت اهمية هذه المدونات القانونية في أنها جاءت لتسجل حقوق الأفراد وواجباتهم في المجتمع ، وتقف ضد أي إمتياز لطبقة أو طائفة في تفسير القانون أو تطبيقه وفقاً لمصالحها [٦٢]. وهنا لابد من الاشارة الى مدى الاهتمام بالظواهر السكانية للمجتمع بحيث تصدر القوانين لتوضيح العلاقات بين سكان المجتمع داخل دولة المدينة او المملكة.

ان التكوين النفسي لسكان العراق الاقدمين فتمثل بطبيعة السكان المتأثرة بطبيعة بلادهم القاسية فتجلى بخوفهم الدائم مما يخبئه لهم الاقدار من امور قد تؤدي بحياتهم وحياة محاصيلهم الحقلية وتدمير اعمالهم العمرانية ، فاتصفوا بالتشاؤم والتوتر وتوقع المفاجئات فاتصفوا بالحدة والتقلب السريع ، ولكي تطمئن النفوس ويقل القلق من تلك الاقدار فقد اعتقد القوم بوجود كائنات وقوى تفوق بطاقتها وامكاناتها طاقات وامكانات البشر تسيطر على سير الكون وتنظيمه وتسير مختلف المظاهر الطبيعية ، كما جسدوا المظاهر ذات العلاقة بحياتهم وعدوها من بين الهة الكون وعبدوها ابتغاء مرضاتها واتقاء شرها وغضبها، واعتقدوا بان البشر ما خلق الا ليعبد الالهة ويقوم بخدمتها وتحقيق رغباتها على الأرض، فسلموا انفسهم الى الالهة معتقدين بأنها هي المسؤولة عن ادارة وتنظيم الكون وحياة البشر على الأرض، ولكي تضمن الالهة تنفيذ رغباتها، فقد اعتقدوا بأنها كانت تنتخب من بين البشر من يقوم بتمثيلها على الأرض وينوب عنها في إدارة شؤون البشر وفي المحافظة على الحقائق الازلية التي كانت تحكم البشر ففوضت الالهة هؤلاء الممثلين والنواب وهم الملوك لإصدار القوانين ونشر العدل، فكانت لذلك اوامرهم وقراراتهم وقوانينهم مقدسة في نظر البشر كما كان خوف الناس من تلك القوانين واحترامهم لها هو خوف من الالهة واحترام لها، وهكذا اعتبر الملوك والحكام ان من اولى واجباتهم الدينية والدنيوية ان يقوموا بإصدار القوانين تنفيذاً لرغبات الالهة في نشر العدل بين الناس فتفاخروا بهذه الاعمال وعدوها من اعمالهم الرئيسة التي تثبت حكمهم وتجلب لهم ولشعبهم الخير والسعادة[٦٣]. ومن ابرز القوانين التي تناولت العلاقات الاجتماعية بالسكان هي:

١. القوانين الخاصة بالرقيق

كانت مصادر الرقيق متعددة في بلاد الرافدين ويأتي في مقدمتها اسرى الحروب اذ تذكر نصوص مسمارية متعددة عدد الأسرى من اصحاب الحرف والمهن والفنيين بعد ذكر امراء الاعداء المأسورين وموظفيهم مباشرة وقد يتفاخر بعض الملوك بأنهم وجهوا اسراهم لبناء المدن والمعابد والقصور وقاموا بتزينها وبناء السفن وقد اتضحت اهمية الاسرى في ذكرهم مع جملة المواد والحيوانات التي كانت تفرض على الاقاليم المغلوبة كجزء من الجزية المفروضة عليهم، وان لهم بيوت خاصة يعيشون فيها تحت اشراف موظفين يقومون بتسجيل اسمائهم واعمارهم والمهن والحرف التي يعرفونها[٦٤].

اما المصدر الاخر للرقيق فهو التجارة اذ ان حاجة الافراد والاسر للرقيق ظلت قائمة للعمل في البيوت والحقول مما دفع كثيراً من التجار الى السفر والتجوال في المناطق والاقاليم المجاورة وجلب الرقيق وبيعهم في

بلاد سومر واكد بأسعار مرتفعة وتبدو اهمية هذا المصدر في العهد البابلي القديم من تخصيص قانون حمورابي لمادتين من مواده لوضع بعض الاحكام الخاصة بهذا النوع من التجارة مثل نص المادتين (٢٨٠و٢٨١) ((على انه اذا قام شخص بشراء رقيق في بلاد اجنبية وعاد به الى البلاد فاذا تعرف عليه مالكه الاول ، فعندها يطلق سراح الرقيق ويخسر التاجر دراهمه ان كان الرقيق الذي جلبه من سكان البلاد المحليين، اما ان كان الرقيق من ابناء بلاد اجنبية فعلى التاجر ان يقسم بالإله بأنه قد اشتراه ويبين الثمن الذي دفعه وعلى مالكه ان يدفع الثمن الى المشترى))[٦٥]. اما المصدر الثالث للرقيق فهي من داخل المجتمع المحلي اذ قد يبيع الابوان اطفالهم اما لفقر حالهم وحاجتهم للمال او لعدم تمكنهم من تربيتهم ، وقد يخطف الاطفال ويباعون او يلقون على ابواب المعابد وفي الشوارع اما تخلصاً من نفقات معيشتهم او تخلصاً من العار الذي سيلحق الام من ورائهم وفي اغلب هذه الحلات يصبح الاطفال ملكاً لمن يشتريهم، ويشمل هذا المصدر من الرقيق المولودين لأبوين من الرقيق او لأفراد من الاحرار الذين آلوا الى العبودية نتيجة وقوعهم في قبضة دائنيهم وعدم قدرتهم على السداد او قد يشمل الافراد الاحرار المحكوم عليهم بالعبودية لارتكابهم جرائم معينة[٦٦].

ان اعداد الرقيق من كلا الجنسين تزداد وتنقص تبعاً للظروف العامة ومن مدة الى اخرى ففي العهود الاولى يبدو ان عدد الرقيق لم يكن كبيرا وان الارقاء لم يكونوا يؤلفون طبقة ذات شأن في حياة واقتصاد البلاد ثم ازداد العدد بتزايد الحملات العسكرية حتى غدا معدل ما يملكه كل بيت بابلي في الالف الأول قبل الميلاد رقيقين او ثلاثة ووصل المعدل في بلاد اشور الى اربعة، ويستدل من النصوص ان رقيق المعبد كانوا يعيشون بأحياء سكنية خاصة بهم وكان المعبد يقوم بتوزيع الجرايات اليومية والشهرية عليهم استناداً الى اعمارهم واعمالهم وجنسهم[٦٧].

٢. القوانين الخاصة بالأحرار

ان التمييز بين افراد المجتمع غير الرقيق والاعتراف بوجود أكثر من فئة واحدة من الناس كان موجوداً منذ اقدم العصور السومرية المعروفة من خلال الكتابات المسمارية وان ما جاء في القوانين البابلية القديمة، ويمكن تمييز ثلاثة اصناف من الناس كانوا يعملون في اراضي المعبد في عصور فجر السلالات[٦٨]:

الصنف الأول: العبيد المملوكون من قبل المعبد وغالبيتهم من اسرى الحروب وكانوا يعملون في اراضي المعبد ويعيشون من ارزاقه التي كانت توزع عليهم يومياً او شهرياً، وهم لم يكونوا يؤلفون طبقة كبيرة ذات شأن في اقتصاد المعبد او المدينة.

الصنف الثاني: هم ناس احرار كانوا يعملون في اراضي المعبد لقاء جرابات محددة من المواد الغذائية والحاجيات المنزلية التي كانت تعطى لهم شهرياً بما يتناسب وطبيعة اعمارهم واعمالهم وجنسهم، فهم غير مملوكين من قبل المعبد بل تابعين له ومتمدين عليه في حياتهم.

الصنف الثالث: وهم من الناس الاحرار العاملين في اراضي المعبد لقاء اجرة يدفعونها له استناداً الى مساحة الأرض المؤجرة وطبيعتها وموقعها او لقاء نسبة معينة من الغلال المنتجة عليها.

فقد ميزت قوائم الارزاق التي كان يصدرها المعبد في العصور الأولى بين صنفين من الافراد اطلق على الاول اسم (كورش: رجل شبه حر) وعلى الثاني (انكار: رجل حر فلاح)، ومن خلال تطور النظم السياسية في العراق القديم حل القصر الملكي محل المعبد في امتلاك الاراضي الواسعة والسيطرة على اقتصاد البلاد كما بدأت الملكية الفردية بالظهور والانتشار، فبقي صنف الرقيق يعمل في الاراضي التابعة للقصر الملكي والصنف الثاني هم الفلاحين في الاراضي التي تؤجر لهم والصنف الثالث هم العاملين في اراضي الملكية الفردية لأصحابها التي تقطع لهم مقابل خدمات معينة يقدمونها للقصر[٦٩]. فان القوانين العراقية القديمة لم تفرق بين افراد المجتمع من غير الرقيق استناداً الى انحدارهم الطبقي وانتسابهم الى فئة اجتماعية معينة بل التفريق والتمييز كان اساسه حالة الفرد الاقتصادية.

٣. القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية

وهي القوانين الخاصة بالأسرة والاشخاص فان الاساس في الاسرة العراقية القديمة ولاسيما في العهد البابلي القديم هو الزواج من امرأة واحدة مع وجود بعض الاستثناءات الخاصة ، وكان للوالدين أثر كبير في زواج ابنائهم وبناتهم ، واشارت احدى مواد القوانين الاشورية الى زواج الأخ بخطيبة اخيه المتوفي ان كان عمره عشر سنوات فأكثر، وربما كان يعد هذا السن الحد الفاصل بين القاصر والبالغ، ولابد ان كان سن البلوغ للبنات اقل منه من البنين وقد يكون الزواج هو الحد الفاصل بين القاصر والبالغ سيما ان الزواج المبكر كان هو الشائع في تلك الفترات الزمنية[٧٠]، وكان التبني من المظاهر الاجتماعية المعروفة في المجتمعات القديمة وقد اعتبره قانون حمورابي ظاهرة اجتماعية شرعية تقتضيها مصلحة الافراد والجماعة فخصص عدد من مواده لتنظيم احكامه وتثبيت قواعده العامة بغية المحافظة على حقوق الاطفال الذين كانوا يؤخذون بالتبني من جهة وحماية منه لحقوق والدي الاطفال الطبيعيين والوالدين بالتبني ومن اهم اسباب التبني في المجتمعات القديمة هي[٧١]:

١. سوء الحالة المعيشية وترديها للأبوين الذين يعرضون اولادهم للتبني.

٢. رغبة الابوين في تعليم اولادهم مهنة او حرفة مربحة وان كان ذلك عن طريق اعطائهم للتبني.
٣. الحصول على الاطفال للأبوين الذين يعانون من العقم او للكاهنة التي لا يسمح لها بإنجاب الاطفال.
٤. الحصول على الايدي العاملة الفنية الماهرة او العمالة في البساتين والحقول.

ان المواد القانونية الخاصة بالأحوال الشخصية كثيرة ومتنوعة بحسب الملوك والحكام الذين قاموا بسنها وعملوا على تطبيقها على سكان مدنهم المختلفة وكما يتضح من الجدول (٢) إذ تشمل تلك القوانين الاجراءات القانونية التي يهتم بها المشرع في حضارة بلاد الرافدين والتي تؤكد اهتمامه بالظواهر السكانية ولاسيما ما يخص التنظيم الاسري- الاجتماعي داخل المدن الرافدينية فلكل فرد في المجتمع له حقوق وواجبات سواء كان ذكراً ام انثى بل وقد ميز حقوق المرأة بأكثر من مادة قانونية ، فضلاً عن تحديد اجراءات وقوانين الزواج والطلاق والتبني، وهناك الكثير من المواد القانونية التي تحدد القوانين الاقتصادية ليس مدار البحث الحالي.

جدول (٢) المواد القانونية الخاصة بالأحوال الشخصية في بلاد الرافدين

قانون اور-نمو المواد (٤-١٢) في لأحوال الشخصية	
المادة	النص القانوني
(٤)	تتعلق بقيام امرأة متزوجة بإغراء رجل لارتكاب فعل الزنا معها ، وقد نصت المادة على حق الزوج بقتل زوجته وترك الرجل طليقاً.
(٥)	خاصة بحالة اغتصاب رجل لآمة باكرة تعود لشخص آخر وعقوبة ذلك تعويض مالك الآمة خمس شيقلات من الفضة.
(٦)	على الرجل الذي يطلق زوجته الاولى (الرئيسة) ان يدفع لها مناً من الفضة.
(٧)	حدد مبلغ الطلاق بنصف المن من الفضة اذا كانت المرأة المطلقة ارملة.
(٨)	اذا عاشر رجل امرأة ارملة دون عقد زواج فليس عليه ان يدفع لها شيئاً في حالة تركها او هجرها.
(١١)	اذا اتهمت زوجة رجل بالخيانة الزوجية فمن الضروري اجتيازها الامتحان النهري لأثبات براءتها وتحديد عقوبة من يأتي باتهام كاذب بالتعويض المادي.
(١٢)	خصصت لحماية الخطيب الذي قدم هدايا الى حماه المقبل فاذا قام الاخير بتزويج ابنته الى شخص ثان فعليه ان يعوض الخطيب الاول ضعف ما كان قد دفعه.
قانون لبت-عشتار المواد (٢١-٣١) في الأحوال الشخصية	
المادة	النص القانوني
(٢١)	خاصة بنصيب البنت المتزوجة في املاك بيت ابيها ولما تؤول حصتها.
(٢٢)	تعطي الحق للبنت الكاهنة ان تسكن بيت ابيها.
(٢٣)	تخص سكن البنت غير الكاهنة في بيت ابيها.
(٢٤)	نصت على كيفية قسمة التركة بين اولاد الزوجة الاولى والثانية فما جلبته الزوجة من بيت ابيها يذهب الى اولادها ، اما تركة الاب فتوزع على اولاد الزوجتين بالتساوي.

(٢٥)	اذا كانت الزوجة الثانية أمه وكان الاب قد منح الحرية لأولادها فليس لهم الحق في اقتسام التركة.
(٢٦)	اذا توفيت الزوجة الاولى وتزوج الرجل بأمه ولدت له اولاد فلهم الحق في السكن مع ابيهم.
(٢٧)	اذا لم تلد الزوجة الاولى اولاداً لزوجها وانما له امرأة كانت زانية من الشارع ولدت له اولاد فعلى الرجل ان يعيل تلك الزانية واولادها الذين يصبحون ورثته ولا يجوز ان تسكن الزانية مع زوجته في البيت طالما كانت الزوجة على قيد الحياة.
(٢٨)	في حالة اصابة الزوجة الاولى بعاهة مستديمة (فقدان البصر او الشلل) فلها ان تسكن في بيت زوجها ولزوجها الحق بالزواج من اخرى شرط ان تعيل الزوجة الاولى.
(٢٩)	تتعلق بقيام والد الخطيبة بتزويج ابنته الى غير خطيبها فله الحق في استعادة هدايا الخطوبة مضاعفة.
(٣٠)	اذا شخص متزوج يتردد على زانية من الشارع على الرغم من تنبيه القضاة له فان هو طلق زوجته الاولى واعطاها ما تستحقه من مبلغ الطلاق فلا يحق له ان يتزوج بالزانية.
(٣١)	تتحدث عن الارث فاذا اراد شخص ان يهدي ابنه المفضل جزءاً من املاكه واعطاه بذلك رقيماً مكتوباً فعلى الورثة عند القسمة ان يضيفوا ذلك الجزء الى حصته وعليهم ان لا يخالفوا ارادة ابيهم.
قانون اشنونا المواد (١٧-٣٣) في الأحوال الشخصية	
المادة	النص القانوني
(١٧)	تتحدث عن تبعية المهر الذي كان الخطيب قد قدمه الى بيت حماه المقبل في حالة وفاة مخطوبته فللخطيب حق استعادته.
(١٨)	تنص على حق الارمل الذي توفيت زوجته بعد زواجه بفترة قصيرة باستعادة مبلغ المهر الذي كان قد قدمه الى بيت حماه
(٢٥)	تنص على حق الخطيب الذي كان قد انفق مع حماه المقبل بان يقوم بخدمته لمدة معينة من الزمن مقابل زواجه من ابنته بالتعويض بما يقابل ضعف قيمة المهر ان قام حماه بتزويج ابنته من رجل اخر.
(٢٦)	تنص على عقوبة من يغتصب فتاة مخطوبة دون رضاء والديها بالموت.
(٢٧)	اعتبرت زواج الفتاة بدون رضاء والديها وبدون ابرام عقد شرعي او اقامة احتفال للزواج يعد زواجاً باطلاً حتى ولو مر عليه سنة كاملة.
(٢٨)	ان عقوبة الزوجة الخائنة الموت ان قبض عليها في احضان رجل اخر.
(٢٩)	تعالج حالة غياب الزوج الطويل بسبب اسره من قبل الاعداء وتنص على حقه في استرداد زوجته حين عودته حتى وان كانت قد تزوجت من رجل ثان وولدت منه اطفالاً.
(٣٠)	نصت على ان ليس للزوج حق في استعادة زوجته بعد غيابه اذا كانت غيبته بمحض ارادته وبسبب كرهه لمدينته وسيده.
(٣١)	ان عقوبة الاعتداء على الامة بالاغتصاب ان يدفع المغتصب ثلاث مناً من الفضة الى مالكها.
(٣٢)	تنص على واجبات والد الطفل ومسؤوليته لتقديم المأكل والملبس لتربية ابنه.
(٣٣)	تنص على حق الاب الطبيعي باسترجاع طفله الذي ولدته له امته ومن ثم اعطته سراً الى امرأة حرة وذلك بمجرد تعرفه عليه حتى لو كان ذلك بعد ان كبر الطفل.
قانون حمورابي المواد (١-٧) تحدد العلاقات الاسرية و(١٢٧-١٩٣) هي للأحوال الشخصية	
المادة	النص القانوني

(١)	اذا قال ابن لأبيه انت لست ابي فسيحلقونه ويضعون عليه علامة العبودية ويبيعوه بالفضة.
(٢)	اذا قال ابن لأمه انت لست امي عليهم ان يحلقوا شعره ويطوفوا به داخل المدينة ويطردوه من البيت.
(٣)	اذا قال اب لأبنه انت لست ابني فسيخسر البيت والجدار.
(٤)	اذا قالت ام لأبنها انت لست ابني فستخسر البيت والاثاث.
(٥)	اذا كرهت زوجة زوجها وقالت له انت لست زوجي فسيلقونها بالماء.
(٦)	اذا قال زوج لزوجته انت لست زوجتي فسيدفع نصف مناً فضة.
(٧)	اذا استأجر رجل عبداً ومات او انهزم او هرب او اهمل عمله او مرض فعليه ان يدفع بان من الحنطة بالمكيال اجرته اليومية.
(١٢٧)	تحديد عقوبة المحصنات اذ نصت على اذا أومأ شخص بأبهامه الى الكاهنة العليا او امرأة متزوجة ولم يثبت عليها شيء فان عقوبة ذلك الشخص هي الجلد امام القضاة مع حلق نصف الشعر.
(١٢٨)	نصت على عدم الاعتراف بالزواج ان لم يكن مثبتاً بموجب عقد مكتوب.
(١٢٩)	نصت على معاقبة الزوجة الزانية وعشيقها في حالة القبض عليهما متلبسين بجريمتهما بربطهما والقاءهما بالماء الا اذا اراد الزوج ان يغفر عن زوجته فالملك حينئذ يعفو عن عبده (اي العشيق).
(١٣٠)	تنص على معاقبة الرجل الذي يغتصب عفاف زوجة رجل باكر اي خطيبة رجل لم يتم زواجها بعد، بالقتل ان هو اغتصبها او قبض عليه متلبساً بجريمته.
(١٣١)	اذا اتهم رجل زوجته بالخيانة الزوجية غير انه لم يقبض على الزوجة متلبسة بجريمتها فعليها ان تبرئ نفسها من التهمة وذلك باداء القسم امام الالهة ومن ثم تعود لبيتها.
(١٣٢)	اذا اتهمت المرأة المتزوجة من جهة اخرى غير الزوج ولم يقبض عليها متلبسة بجريمتها فعليها ان تبرأ نفسها بان تلقي نفسها بالنهر وتجتاز الاختبار النهري ارضاء لزوجها.
(١٣٣)	ان غاب الزوج عن بيته وترك فيه مورداً يكفي لسد نفقات معيشة زوجته فلا يحق للزوجة ان تدخل بيت رجل ثان.
(١٣٤)	اذا لم تحافظ الزوجة على نفسها ودخلت بيت رجل ثان اثناء فترة غياب زوجها فسيتهمون تلك الزوجة ويرمونها في الماء.
(١٣٥)	ان لم يترك الزوج الغائب مورداً يمكن للزوجة ان تعيش منه فلزوجته ان تدخل بيت رجل ثان وليس عليها عقوبة.
(١٣٦)	اذا عاد الزوج الغائب الى بيته فله ان يستعيد زوجته اما الاولاد من الرجل الثاني فيتبعون اباهم.
(١٣٧)	اذا عزم رجل ان يطلق زوجته التي كانت قد ولدت له اولاد فعليه ان يعيد لها بائنتها ويعطيها نصف سهم من الحقل والبستان والماشية وعليها ان تربي اولادها حتى يكبروا فلها ان تأخذ سهم وريث واحد من جميع ما كان زوجها قد اعطاها لتربية اولادها ولها ان تتزوج من الرجل الذي يميل اليه.
(١٣٨)	اذا اراد الزوج ان يطلق زوجته الاولى التي لم تلد له اولاداً فله ان يطلقها وعليه ان يعطيها هدية زواجها وبائنتها التي كانت قد جلبتها من بيت ابيها.
(١٣٩)	اذا لم يسن هدية للزواج فعلى الزوج ان يعطيها مبلغاً من المال يتناسب وحالته المادية تعويضاً لها عن الطلاق اذا كان عذر الزواج عدم انجاب الاطفال.
(١٤٠)	اذا كانت الزوجة المطلقة من فئة السكان الاحرار العليا (اويلم) فعليه ان يعطيها مناً من الفضة ، واما ان

	كانت من السكان الاحرار الاقل (مشكينم) فعليه ان يعطيها ثلث مناً من الفضة.
(١٤١)	يحق للزوج ان يطلق زوجته دون ان يدفع لها أي شيء جزاءً لما قامت به من اعمال مشينة، اما ان اراد ان يبقي عليها فله ان يتزوج بامرأة ثانية ويعد الزوجة الأولى من الاماء.
(١٤٢)	اذا كرهت زوجة زوجها ورفضت مطاوعته فيجب دراسة قضيتها في مجلس بلدتها فان ظهر بانها كانت محترمة وان زوجها كان يخرج من البيت ويحطمن قدرها كثيراً، فلا ذنب على تلك المرأة ولها ان تاخذ حقها في بائنتها وتذهب الى بيت ابيها.
(١٤٣)	اذا كانت المرأة طلبة الطلاق غير محترمة بل تخرج من بيتها وتحط من قدر زوجها فعليهم ان يلقوا تلك المرأة في الماء.
(١٤٤)	ان تزوج رجل بكاهنة من الصنف الذي لا يسمح لهن بأنجاب الاطفال وجهزت تلك الكاهنة زوجها بجارية انجبت له اطفال فلا يحق له ان يتزوج مرة اخرى.
(١٤٥)	اذا الكاهنة من الصنف الذي يسمح لها بأنجاب الاطفال ولم تجهز زوجها بأولاد فللرجل الحق بان يتزوج ثانية ويجلبها الى البيت شريطة ان لا ترقي بنفسها الى مرتبة الزوجة الاولى.
(١٤٦)	ليس للجارية المهداة من قبل الكاهنة الى زوجها الحق بأن تساوي نفسها بسيدتها بحجة انها قد انجبت اولاد وان فعلت ذلك فليس لسيدتها الحق في بيعها بالفضة او تضعها في السلاسل او تعدها من الاماء.
(١٤٧)	اذا لن تنجب الزوجة الثانية من الاماء اولاد وساوت نفسها بسيدتها فيحق لها ان تبيعها.
(١٤٨)	اذا اصيبت الزوجة بمرض مزمن واراد زوجها ان يتزوج ثانية فله ان يتزوج ولكن لا يجوز له ان يطلق زوجته المريضة بل لها ان تسكن في البيت الذي بناه وعليه ان يعيلها طالما هي على قيد الحياة.
(١٤٩)	اذا ارادت الزوجة المريضة ان تذهب الى بيت ابيها بعد زواج زوجها بامرأة ثانية فلها ذلك على ان يعطيها الزوج كامل بائنتها التي جلبتها من بيت اهلها.
(١٥٠)	اذا اهدى سيد لزوجته حقلاً او بستاناً او بيتاً او اموالاً وترك لها بذلك رقيماً مختوماً فلا يحق لأولادها ان يطالبوها بشئ عند وفاة الاب.
(١٥١)	ان للزوجة الحق في اعطاء تركتها الى ابنها الذي تحبه غير انه لا يجوز لها ان تعطيها لأي شخص آخر.
(١٥٣)	تنص على اعدام الزوجة التي تتسبب بموت زوجها من اجل آخر.
(١٨٥)	تنص على منع المطالبة بالطفل الذي كان قد تبناه رجل ورباه.
(١٨٦)	تنص اذا ظل الطفل المتبنى يبحث عن والديه الحقيقين بعد اخذه منهما مباشرة فيجب اعادته اليهم.
(١٨٧)	عدم جواز المطالبة للتبني بأبناء الخدم للقصر والمعبد.
(١٨٨)	اذا تبنى شخص طفلاً وعلمه مهنة فلا يجوز المطالبة به مطلقاً.
(١٨٩)	اذا لم يعلمه مهنته فللطفل الحق بان يعود لأبويه الحقيقين
(١٩٠)	ان تبنى شخص طفلاً ورباه ومع هذا لم يعترف به ولم يعده من اولاده الاخرين فيحق لذلك الطفل ان يعود لبيت ابويه الحقيقين.
(١٩١)	اذا تبنى شخص طفلاً ورباه ومن ثم رزق اطفالاً اخرين من زوجته وعزم على التخلي عن ابنه بالتبني فلا يجوز ان يتخلى عنه دون تعويض بل عليه ان يعطيه ما يقابل ثلث حصته من الميراث وليس عليه ان يعطيه من الحقل والبستان والبيت.
(١٩٢)	تنص على العقوبة المفروضة على الطفل المتبنى اذا انكر اباه او امه بالتبني فالعقوبة هي قطع اللسان.

(١٩٣)	اذا انكر اباه او امه بالتبني وبحث عن اهله وعاد الى ابويه الحقيقين فان عقوبته قلع العين.

المصدر: بالاعتماد على :

(١) رضا جواد الهاشمي، القانون والاحوال الشخصية ، حضارة العراق ، ج٢، بغداد ، ١٩٨٥.
(٢) عباس العبودي ، تاريخ القانون، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الموصل، ١٩٨٨.
(٣) عامر سلمان ، القانون في العراق القديم دراسة تاريخية قانونية مقارنة، مؤسسة دار الكتب ، الموصل ، ١٩٧٧.
(٤) طه باقر ، مقدمة في دراسة القانون في العراق القديم ، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد، ١٩٧١.

الاستنتاجات

١. استنتج البحث ان الظواهر السكانية كانت موضع اهتمام رجال الدولة والدين لاعتبارات اخلاقية واجتماعية واقتصادية وتعبوية عسكرية وسياسية فتمثلت في ما اقره هؤلاء الحكام والمشرعين من قوانين لتنظيم المجتمع السكاني، بعكس الحضارات الاخرى التي كان الاهتمام من قبل العلماء والفلاسفة بظواهر السكانية مثلما في الحضارة الرومانية والاغريقية.

٢. ان اهمية الظواهر السكانية لدى الحكام والملوك في بلاد الرافدين اختلفت بحسب تنوع الحضارات في المنطقة الجغرافية نفسها سواء اكان هذا التنوع زمانياً لتعاقب الحضارات فيها ام مكانياً كونها تتمثل في مناطق شمالية ووسطى وجنوبية من تلك البقعة الجغرافية التي سميت ببلاد الرافدين او ما بين النهرين (Mesopotamia) .

٣. ان دراسة تلك الظواهر السكانية تعكس بعض التراث الحضاري كونها تسلط الضوء على مدى الاهتمام بالسكان وعلى الرغم من ان المصادر الاثارية قليلة عن هذا الموضوع ولكن بعض الاكتشافات الاثرية اوضحت ذلك الاهتمام وايدت ان تلك الحضارات رغم تنوعها فهي تدعوا الى الزيادة في السكان سواء كان بزيادة الانجاب او التبني او جلب الرقيق من البلاد الاخرى.

٤. يتبين ان سبب التطور الثقافي والحضاري هو زيادة عدد السكان ونموهم ولاسيما في المدن الرافدينية التي سعت الى تنظيم بعض المؤسسات الاجتماعية لزيادة التطور الثقافي ونشره في المجتمعات المجاورة

٥. ان تأثير الاختلاط السكاني نتيجة الهجرات والغزوات للمدن والشعوب المجاورة ساعدت على ظهور التنوع والتمازج الثقافي في تلك المجتمعات.

٦. استنتج البحث ان الاهتمام بالظواهر السكانية تجسد من خلال التعدادات للسكان التي كان يقوم بها الكهنة في المعابد لمعرفة العاملين في المعابد والسكان الذين يعتمدون على المعبد في معيشتهم فضلاً عن قيام الملوك وقادة الجيش لمعرفة اعداد الجيش ولاسيما قبل الحملات العسكرية وتعداد الاسرى بعد عملية غزو

٧. اشار البحث الى الاهتمام الكبير للفرد في المجتمع العراقي القديم سواء اكان ذكرا ام انثى بل ان للمرأة مكانة عظيمة اوضحتها بعض النصوص المسمارية وبعض القوانين التي تضمن حقوقها وواجباتها.

٨. اهتمت معظم القوانين في بلاد الرافدين بتصنيف افراد المجتمع وطبقاته الى احرار ورقيق وتحديد كل الحقوق والواجبات لكل منهما فضلاً عن الاهتمام بالأحوال الشخصية لكل الافراد لتنظيم العلاقات الاجتماعية في ما بينهم.

المقترحات:

١. يقترح البحث الاهتمام بدراسة الارث الحضاري لبلاد الرافدين في هذا المجال وتطوير الدراسة الاستيعاب كل مضامين النصوص المسمارية التي تهتم بالظواهر السكانية.

٢. ينبغي تسليط الضوء على الاهتمامات الجغرافية سواء البشرية ام الطبيعة لدى الحضارات العراقية القديمة فهي تحمل الكثير من الاسرار التي مازالت مثار التساؤلات العلمية للقت الحاضر.

هوامش البحث ومصادره:

(١) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، ١٩٨٦، ص٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٧٦-٧٨.

(٣) محمد أزهر السماك ، قيس سعيد ، صفاء يونس ، أصول البحث العلمي ، ط٢ ، الموصل ، مطبعة جامعة صلاح الدين ، ١٩٨٦ ، ص٣٨.

(٤) وجيه محجوب، طرائق البحث العلمي، ط٢، مديرية دائر الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٨، ص٥٢.

(٥) سيدي دريس عمار، الانثربولوجيا وجغرافية السكان، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ٢٠١٥، ص٢٥.

(٦) محمد رأفت المقداد ، وجميلة ابو قاسم وحسن شعبان ، جغرافية السكان ، ط١، منشورات جامعة دمشق ، دار الملايين للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع ، دمشق ، سوريا، ٢٠١٤، ص٤٤.

(٧) عباس فاضل السعدي، جغرافية السكان، ج١، ط١، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٢، ص٥-٦.

(٨) فاضل الانصاري ، جغرافية السكان ، المطبعة الجديدة ، جامعة دمشق، دمشق ، سوريا، ١٩٨٦، ص٧.

(٩) احمد علي اسماعيل ، اسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية ، ط٨، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٧، ص١٦.

(١٠) سعد عبد الرزاق محسن الخرسان، جغرافية السكان (المفهوم والمنهج والتطبيق)، مؤسسة دار الصادق الثقافية للنشر والتوزيع ، بابل ، العراق، ٢٠١٦، س١٩.

(١١) سعد عبد الرزاق محسن الخرسان ، مصدر سابق، س٨٧.

(١٢) مفيد زنون يونس ، اقتصاديات السكان ، ط١، الاكاديميون للنشر والتوزيع ، عمان، ٢٠١١، ص١٦

(١٣) محمد رأفت المقداد ، وجميلة ابو قاسم وحسن شعبان ، مصدر سابق ، ص٥٤٨-٥٤٩.

(١٤) عبد علي الخفاف ، جغرافية السكان اسس عامة، ط٢، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن، ٢٠٠٧، ص١٩.

(١٥) حسين مؤنس ، الحضارة دراسة في اصول وعوامل قيامها وتطورها، المجلس العالي للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ١٩٨٨، ص١٣-٢٧.

(*) **قرية جرمو**: تقع اثارها بالقرب من جمجمال بنحو (١١كم) شرقاً، و(٣٥كم) شرق كركوك على الوادي المسمى (جم كورا) احد روافد نهر العظيم وطوق جاي اكتشفت اثارها من قبل مديرية الاثار العراقية في الاربعينات من القرن العشرين ومن ثم شرعت بعثة اثرية من جامعة شيكاغو تنقب فيه منذ عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٥. للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، ط٢، بغداد، ١٩٨٦، ص١٩٥.

(١٦) سيتون لويد، اثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ترجمة: محمد طلب ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا ، ١٩٩٣، ص٣٣.

(١٧) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، مصدر سابق، ص١٩٥.

(*) **تل الحلف:** هو موضع اثري كبير يطل على نهر الخابور بالقرب من قرية رأس العين على الحدود التركية السورية وعلى بعد نحو (١٤٠ ميلاً) شمال غرب نينوى، وهي تعود للعصر الحجري – المعدني الوسيط للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، مصدر سابق ، ص٢١٩.

(١٨) احمد سوسه ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠، ص٧٠.

(١٩) سيتون لويد، مصدر سابق، ص٣٤.

(*) **دور العبيد:** اطلق هذا الاسم على اول دور للاستيطان البشري في بلاد الرافدين نسبة الى التل الذي اكتشفته بعثة التنقيبات البريطانية (عام ١٩٢٦) في مدينة اور وكان اسمه (العبيد) تصغير لكلمة عبد ويقع على بعد (٤ اميال الى الشمال الغربي منها، وقد قسم هذا الدور الى اربعة اقسام هي: العبيد الأول (طور اريدو) ، والعبيد الثاني (طور فخار حاج محمد ورأس العمية) ، والعبيد الثالث وهو (دور العبيد القديم، واخيراً دور العبيد الرابع (دور العبيد المتأخر) وقد وجدت اثارها في جميع انحاء العراق وقد اطلق على اثار العبيد في المناطق الشمالية بالعبيد الشمالي وفي المناطق الجنوبية بالعبيد الجنوبي وهما يختلفان في بعض الوجوه الاثارية والحضارية، للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، مصدر سابق، ص٢٢٢٣-٢٢٧.

(*) **العصر الشبيه بالكتابي:** ارتأى جماعة من الباحثين ولاسيما من جماعة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو ولأسباب حضارية اطلاق مصطلح العصر او الدور الشبيه بالكتابي او الشبيه بالتاريخي على طور الوركاء الأخير وعلى دور جمدة نصر وعصر فجر السلالات وحدد زمنه ما بين (٣٥٠٠-٢٨٠٠) ق. م، للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، مصدر سابق، ص٢٣٦.

(٢٠) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، مصدر سابق، ص٢٢٩.

(*) **دور جمدة نصر:** وهو الدور الثاني بعد دور الوركاء في العصر الشبيه بالكتابي ومأخوذة تسميته من الموضع الاثري (تل نصر) وهو موضع صغير يقع على بعد (١٥ ميلاً) شرقي مدينة كيش الاثرية اذ عثرت عليه البعثة الاثرية عام ١٩٢٥، للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، مصدر سابق، ص٢٤٣.

(*) **عصر فجر السلالات (Early dynastic period):** وهي تسمية وضعها استاذ الاثار فرانكفورت بالاستناد الى نتائج التنقيبات في مواقع منطقة ديالى الاثرية، وقد قسمه الباحثين الآثاريين الى ثلاثة اطوار رئيسة اطلق عليها اسم عصر فجر السلالات الأول (٣٠٠٠-٢٨٠٠) ق.م والثاني (٢٨٠٠-٢٦٠٠) ق.م والثالث (٢٦٠٠-٢٣٧٠) ق.م، وهي اطوار حضارية يتميز كل منها بطائفة من العناصر الحضارية مثل الاختام الاسطوانية والأواني الفخارية والبقايا المعمارية البنائية وفن النحت، للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، مصدر سابق، ص٢٥٤ و٢٥٦.

(٢١) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، مصدر سابق، ص٢٨٢.

(٢٢) سيتون لويد، مصدر سابق، ص٢٩٣.

(٢٣) صلاح رشيد الصالحي ، احصاء السكان في الحضارات القديمة، مقالة علمية منشورة في شبكة المعلومات العالمية على موقع مجلة ثقافية عامة الالكترونية عنوانها (الكاردينيا) للعام ٢٠٢٤، متوفرة على الرابط الآتي: https://www.algardenia.com

(٢٤) D. M. Heer, Society & Population, Prentice Hall of India New Delhi, 1969, pp.2-3.

(٢٥) مفيد زنون يونس، اقتصاديات السكان، ط١، الاكاديميون للنشر والتوزيع، عمان ، ٢٠١١، ص١٦.

(٢٦) مفيد زنون يونس ، مصدر سابق ، ص١٨.

(٢٧) عباس فاضل السعدي ، جغرافية السكان ، ج١، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠٢، ص٩.

(٢٨) احمد سوسه ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين، مصدر سابق، ص٩٨-٩٩.

(٢٩) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١، مصدر سابق، ص٣٢٥.

(٣٠) المصدر نفسه ، ص٣٣٧.

(٣١) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١، مصدر سابق ، ص٣٣٩.

(٣٢) سعد سلمان فهد وكاظم عبد الله عطية وجمعة الطلبي ، مفهوم العمل في حضارة بلاد الرافدين ، مجلة الآداب، ملحق العدد (١٢٥)، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ٢٠١٨، ص٣٣٨-٣٣٩.

(٣٣) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١، مصدر سابق ، ص٣٤٣.

(٣٤) المصدر نفسه ، ص٣٣٧.

(34) Robert Mc, C, Adams, Evolution of Urban Society : Early Mesopotamia and Prehispanic Mexico , Chicago: Aldine Publishing Company, 1966, Pp: 79-103

(35) A, Leo Oppenheim, Ancient Mesopotamia: Portrait of a Dead Civilization, Erica Reiner, University of Chicago Press, 1977, Pp: 109-130

(36) Van De Mieroop, A History of the Ancient Near East co. 3000-323 BC. 3rd ed, , Wiley - Blackwell, 2016. Pp: 31-46.

(٣٨) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١، مصدر سابق ، ص٣٩٧.

(٣٩) المصدر نفسه ، ص٥٣٢-٥٣٧.

(40) J. Nicholas Postgate, Early Mesopotamia: Society and Economy at the Dawn of History, Erica Reiner, Routledge, 1992, Pp: 109-132.

(٤١) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١، مصدر سابق ، ص٣٣٧.

(٤٢) المصدر نفسه ، ص٣٦٠.

(٤٣) ميسون عايد ابراهيم وفائز هادي علي الحسناوي ، الاعمال الجماعية التجارية في حضارة بلاد الرافدين، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد (٧٨)، ٢٠٢١ ، ص١٠٧-١١٢.

(*) **العسابي:** ي تسمية تراثية تطلق على السفن والمراكب النهرية الخشبية القديمة والمؤقتة التي كانت تُصنع في مدينة هيت وتنساب عبر نهر الفرات لنقل القار والبضائع إلى مناطق جنوب العراق، للمزيد ينظر: عبد الرحمن جمعة الهيتي ، السكلة ثالث موانئ هيت، مجلة الهدى العدد (٢٠٩)، ٢٠٠٤، ص٩ متوفرة على الرابط الآتي: https://almadapaper.net/file/archiveto

(٤٤) احمد سوسه ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ، مصدر سابق، ص١٤٠.

(٤٥) مي عبد القادر احمد الدسوقي ورفعت صبحي عجلان وصالح سليمان عطية ، الموانئ النهرية في العراق القديم : منذ العصر الاكدي حتى العصر الاشوري الحديث، مجلة جمعية تراث مصر، المجلد (٥)، العدد (٥)، مصر، ٢٠٢٦، ص٤٣-٤٤.

(٤٦) ميسون عايد ابراهيم وفائز هادي علي الحسناوي ، مصدر سابق، ص١١٤.

(٤٧) حنين عبد الغني جاسم ، واجبات وحقوق اصحاب المهن والحرف في القوانين العراقية القديمة، رسالة ماجستير، كلية الاثار ، جامعة الموصل ، ٢٠٢٠، ص١٠٤.

(٤٨) سهيلة مجيد ، الحرف والصناعات اليدوية في بلاد بابل واشور، اطروحة دكتوراه (غ. م)، كلية الاثار، جامعة الموصل، ٢٠٠٢، ص١١٧-١١٨.

(٤٩) صباح اسطيفان كجه جي ، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين ، ٢٠٠٢، ص١٠.

(٥٠) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١مصدر سابق ، ص٢٣٩-٢٤٥.

(٥١) طه باقر ، حضارة العراق ، بغداد، ١٩٨٥، ص٨٧-٩٥.

(٥٢) صموئيل نوح كريمر ، التاريخ يبدأ في سومر ، ترجمة: سليم طه التكريتي ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٥، ص٨٧-٩٥.

(٥٣) احمد سوسه ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ، مصدر سابق، ص١٠٦-١٠٧.

(٥٤) المصدر نفسه ، ص١١٤- ١٥٧.

(٥٥) احمد سوسه ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ، مصدر سابق ، ص١٥٨-١٥٩ب.

(٥٦) مؤيد مجيد محمد ومرتضى جاسب مثنى، اثر الهجرات البشرية في تقدم الحضارة العراقية مجلة ابحاث ميسان ، المجلد (١٥)، العدد (٢٩)، جامعة ميسان ، ٢٠١٩، ص١٢-١٤.

(٥٧) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١، مصدر سابق ، ص٣٦٠.

(٥٨) رضا جواد الهاشمي ، القانون والاحوال الشخصية في حضارة العراق القديم، ج٢ ، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد ، ١٩٨٥، ص٦٥.

(٥٩) نوالة احمد محمود المتولي، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة ، بغداد، ٢٠٠٧، ص٢٤.

(٦٠) احمد سوسه ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ، مصدر سابق، ص١٩١-١٩٢.

(٦١) فوزي رشيد ، الشرائع – العراق في موكب الحضارة (الاصالة – التأثير)، ج١، بغداد، ، ١٩٨٨، ص٢٠٧.

(٦٢) سعدي سليم ، القانون والاحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (٢٠٥٠-٣٣٢) ق.م: دراسة تاريخية مقارنة، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة منتوري، الجزائر ، ٢٠١٠، ص٧.

(٦٣) طه باقر ، مقدمة في دراسة القانون في العراق القديم ، مصدر سابق، ص٢٣-٢٤.

(٦٤) المصدر نفسه ، ص٤٥.

(٦٥) المصدر نقسه ، ص٤٦.

(٦٦) المصدر نفسه ، ص٢٣-٢٤.

(٦٧) المصدر نفسه ، ص٢٣-٢٤.

(٦٨) المصدر نفسه ، ص٦٤.

(٦٩) المصدر نفسه ، ص٦٧.

(٧٠) المصدر نفسه ، ص٨٢.

(٧١) المصدر نفسه ، ص٢٦٣.